الأوقاف في سطور وصور

أمينة البنداري ود. هدى السعدي

الأوقاف فى سطور وصور

▫ تأليف وإعداد مادة

د. هدى السعدى　　　أمينة البندارى

▫ رســـــوم

د. شريف عرفـه

▫ الإخــراج الفنــى

محمـود إبراهيـم

▫ صياغـة لغويـة

محمد هشام عبية

الكتاب: الأوقاف فى سطور وصور

تأليف: د. هدى السعدى - أمينة البندارى

تصميم الغلاف: هبة حلمى

رسم الغلاف: وليد طاهر

الطبعة: الأولى لسنة ٢٠٠٦

الناشر: مؤسسة المرأة والذاكرة. القاهرة. ٢٠٠٦

٨٣ شارع شهاب المهندسين ت: ٣٠٤٠١٩٨ . ٣٤٤٣٠٤٥

رقم الايداع بدار الكتب : ٢٠٠٦/٩٥٦٠

الترقيم الدولى: 0-17-5895- 977

مطبعة: مترو بول ت: ٢٩٣٦٨٦٧

شكر خاص إلى «الصندوق الدولى للنساء» - [Globol Fund For Women]

فى البداية

يسعدنا أن نقدم للقراء المصريين والعرب هذا الكتاب المبسط عن الأوقاف. ولكن ربما يتبادر إلى ذهن القارئ والقارئة سؤال عن أهمية مثل هذا الكتاب الآن.

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن المجتمع المدني وانطلقت الدعاوى إلى إدخال المجتمع المدني (أي قوى المجتمع التي لا تنتمي للسلطة) في معترك التنمية وتطور المجتمع. وعادة ما ترفق مثل هذه الدعاوى بالحديث عن الدمقرطة والتمكين واحترام الآخر وحقوق الإنسان وغيرها من القيم الإنسانية الحديثة . وفي ذلك الخطاب اعتبار مضمر أن تلك القيم والدعاوى بل فكرة المجتمع المدني في حد ذاتها هي أفكار غريبة - غربية - مقحمة على الواقع العربي الحديث بفعل قوى خارجية. ولذلك الاعتبار ما يدعمه من واقع الممارسات والأفعال على مستويات سياسية واجتماعية عدة. ولكن تبقى حقيقة قليلاً ما يلتفت إليها، وهي أن فكرة المجتمع المدني ليست جديدة على المجتمعات العربية ، بل هي لها جذور تاريخية عميقة. وتعتبر الأوقاف إحدى أهم المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي مارس عن طريقها المجتمع المدني دوره في تنظيم وتطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على مر التاريخ. ومن هنا يأتي هذا الكتاب لتسليط الضوء على تلك المؤسسة الهامة التي لعبت أدواراً أساسية فى التاريخ العربي وفي المدن العربية على مر قرون طويلة.

وفي سياق ذات الخطاب يتم الحديث عن حقوق النساء وتمكينهن، أيضاً بصفتها قضايا مقحمة على المجتمعات العربية ، فيما يظهر وكأن خروج النساء من المنازل إلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية - وبالتالي وبالضرورة السياسية - حدث جديد على تلك المجتمعات جاء فقط مع نشأة الدول القومية الحديثة المبنية على النموذج الغربي. وفي ذلك النسق مغالطة تاريخية كبيرة؛ إذ كما يعرف المؤرخون - العرب منهم والأجانب - فإن النساء طالما لعبن أدواراً مغايرة ومختلفة في تاريخ المجتمعات العربية والإسلامية. وتأتي مؤسسات الوقف بوثائقها الغنية

لتشير إلى أحد أشكال دور النساء التاريخي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وكانت هذه الدوافع المعرفية وراء إختيار مجموعة " المرأة والذاكرة " للأوقاف كموضوع لثاني كتاب من سلسلة المداخل المصورة الذي نأمل أن يثير اهتمام القراء، أو بعضهم على الأقل.

يدور الحديث من آن لآخر في مصر والعالم العربي بصفة عامة عن وجود القراء و"موت القارئ"، ويتساءل الكثيرون عن سبب إحجام قطاعات عريضة من الشعوب العربية عن القراءة وعن قراءة التاريخ بصفة خاصة. يأتي هذا الكتاب كمحاولة - متواضعة لا شك- في إثارة اهتمام الجمهور المصري والعربي، والشباب منه خاصة، بالقراءة وبقراءة التاريخ وأهميته.

حاولنا هنا، إذن، أن نكتب نوعاً شيقاً من التاريخ، يثير اهتمام القارئه والقارئ العام، ويلتفت الى مشاركات قطاعات واسعة من المجتمعات السابقة في صناعة التاريخ.

لقد حظينا بآراء ومشاركات الكثير من الزملاء والزميلات في سياق إعداد هذا الكتاب ، ويسعدنا أن نشكرهم هنا على مساعداتهم لنا. ونشكر بصفة خاصة الدكتورة باسكال غزاله على إطلاعنا على بحثها عن الورثة الشرعيين والأقارب والشركاء حتى قبل أن يُنشر، والدكتور مجدي جرجس على إطلاعنا على أبحاثه ومصادره التاريخية، بما في ذلك صور لوقفيات قبطية أمدنا بها، والأستاذ أيمن الصياد مدير تحرير دورية "وجهات نظر" على إسعافنا بمعلومات عن مؤسسة هيكل قبل الطبع. كما يسعدنا أن نشكر الدكتورة هبة بركات على إمدادنا بالصور الفوتوغرافية التي أضفت طابعاً مميزاً لهذا الكتاب. وقد كانت الزميلات في المرأة والذاكرة نعم العون لنا طوال العمل على البحث والكتاب ونشكر بصفة خاصة الدكتورة أمل أبو الفضل والدكتورة هالة كمال الأستاذتين داليا الحمامصي وحنان رمزى على مساعداتهن المختلفة وآرائهن المحفزة وتشجيعهن المتواصل. وأخيراً وليس آخراً نشكر أسرتينا على تشجيعهم الدائم لنا. نأمل أن يجدوا جميعاً شيئاً ما ذا قيمة هنا...

أمينة البنداري - هدى السعدى

ما هو الوقف؟

الورقة اللى بتسأل عليها هى ورقة من وثيقة وقف أحد سلاطين المماليك.
وببساطة شديدة الوقف هو مثلا أن يقرر جدك أن يوقف قطعة الأرض الزراعية التي يملكها في البلد، بحيث لا يمكن لأي شخص أن يبيعها أو يورثها، وأن عائد هذه الأرض الزراعية يتم صرفه لمؤسسة خيرية .. مدرسة أو مستشفى مثلا.
يعني بتعبير أكثر عصرية الوقف مثل الوديعة البنكية التى لايتم وقف التصرف فيها أو أخذ جزء منها إلا بعد عدد معين من السنوات. الاختلاف فقط بين الاثنين أن الوقف المفروض أنه شيء أبدي، بمعنى أنك إذا وقفت عقار ما لايمكنك تحت أي ظرف من الظروف أن ترجع في كلامك وتقول في ثانى يوم "لأ مش لاعب!".

لكن هل يعني هذا أنه لا يمكن تغيير أي شروط في الوقف؟!

بطبيعة الحال كان هناك فرق بين "المفروض" و"الذي يحدث في الواقع." وبالرغم من أنه ليس من السهل على الإطلاق تغيير شروط الوقف إلا أن الأوقاف كانت من المرونة التي سمحت بتغيير شروط الوقف لكي تتكيف مع متغيرات العصر وكان هذا يتم تحت إشراف القضاء.
فمثلا في الحالات التي كان العقار فيها يختفي أو يتهدم كان القضاة يتدخلون لإجراء تعديلات في شروط الوقف أو حتى استبدال الوقف المتهدم بوقف آخر بشرط أن يكون في ذلك مصلحة عامة.

مكونات الوقف هى : واقف وموقوف . وموقوف عليه . ووقفية

الواقف:

هو الشخص الذي يقرر أن يوقف عقاراً ما ويجب أن يكون الشخص الواقف هذا بالغاً، حراً، عاقلاً، أهلا للتبرع، غير محجوز عليه، لا توجد عليه ديون.

يعني سيادتك - مثلاً - لا يمكن أن توقف عقارا إذا كنت ولامؤاخذة- مجنونا أو كانت عليك ديون لعم أحمد البقال فالأولى أن تسدد ديونك أولا!

الموقوف:

يجب أن يكون العقار الذي سيتم وقفه معلوما ومحددا، فلا يجوز وقف شيء مجهول كأن تقول مثلا:

أوقفت الدار التي أملكها

أي دار؟ أين مكانها؟ كم مساحتها؟ وكم ارتفاعها؟

كل هذه الأشياء ومعها أشياء أخرى يجب أن تكون واضحة بشكل لا يوجد فيه أى التباس.

الموقوف عليه:

هي الجهة التي ستقرر أن يوجه إليها عائد العقار الذي ستوقفه، ويجب أن يكون الموقوف عليه محدداً ومعيناً، فلا يصح مثلا أن تقول أنك أوقفت قطعة الأرض هذه على مدرسة دون أن تحدد هذه المدرسة بالاسم، والوقف -كما قلنا من قبل- أبدي، بمعنى أنه يفترض أنه مستمر حتى آخر الزمان وعلى هذا لا يوجد وقف مؤقت بأن تحدده بعدد معين من السنين (١٠ أو ١٥ سنة مثلا). كما أن الوقف يجب أن يكون على جهة لا تنقطع ولذلك كان الكثير من الناس يحددون مجموعة متتالية من المستفيدين تنتهي بفقراء المسلمين أو الحرمين الشريفين، لأنه طبعا لا يوجد أكثر من الفقراء! ولأن الحرمين الشريفين يحفظهما الله سبحانه وتعالى.

ولهذا السبب كان البعض يكتب في الوقف أنه في حالة انقراض الموقوف عليهم أو موتهم مثلا فإن الوقف ينتقل إلى جهة أخرى وهكذا.

ناظر الوقف..مدير يشرف ولا يبيع!

الناظر هـو المدير الفعلي للوقف والمشرف عليه، وله كل السلطات في الإشراف على الوقف وإصلاحه وتحصيل الأرباح وتقسيمها وتوزيعها على الجهات المذكورة في الوقفية ولكنه -رغم كل هذه السلطات- لا يحق له مطلقا أن يرهن الوقف أو أن يبيع جزء منه.

- "يعني أي شخص ممكن يكون ناظر للوقف"؟!

يمكن لأي شـخص أن يكون ناظرا للوقف بشرط أن يكون:

أمينا- عادلا- مكلفا- رشيدا- له القدرة على التصرف- لديه خبرة وقوة.

- "عندك صفة من الصفات اللى فوق هذه؟!"

ويجب على ناظر الوقف أن يلتزم بالشروط الموجودة فى الوقفية إلا إذا كانت هذه الشروط مخالفة للشرع أو خالفت مقتضى الحال والموقف.

فلا يجوز مثلا أن يترك الناظر الوقف يتهدم ويسقط لأن الوقفية اشترطت عدم تعميره. المقصود من الوقف هو إبقاؤه وتعميره وعلى هذا يمكن له أن يخالف شروط الوقفية لإنقاذ الوقف نفسه.

وكان يعمل تحت إدارة ناظر الوقف موظف أطلق عليه اسم "متولي الوقف" وهو الذي كان يتولى مهمه تحصيل إيرادات وريع الوقف".

- طبعا لو كان اسمك متولي يكون سهل جدا أن تشغل هذه الوظيفة؟!

ولأن النفس البشرية تختلف من شخص لآخر، فبطبيعة الحال لم يكن كل نظار الأوقاف مثاليين شرفاء، فبالطبع دخل في هذا المجال بعض الفاسدين الذين استغلوا منصبهم ومكانتهم لمصالحهم الشخصية وإنعكس هذا بطبيعة الحال على أحوال الأوقاف التي كانوا يشرفون عليها.

وهي الوثيقة التي تحدد ماهية وشروط الوقف .. يعني..

لو قررت أنت أن توقف عقارا ما فلابد من وجود "الوقفية" (أيوة هي دي الورقة القديمة الموجودة في أول صفحة) وفي هذه الوقفية ستتعهد بأنك قررت وقف عقار ما، ولا يمكن أن تقول العقار الفلاني "وتطلع تجري وهم بقى يبقوا يتصرفوا!". فلابد أن تصف هذا العقار بكل دقة. فلو مثلا فرضنا أنك تريد أن توقف بيت جدك القديم، فلابد وأن تحدد مكان هذا العقار بدقة شديدة في أي بلد وأي مدينة حي وأي شارع وعليك أيضا أن تصف هذا البيت ومقاسه وتقسيماته الداخلية وصفا دقيقا، ثم يجب أن تحدد في الوقفية "بالتفصيل الممل" الأوجه التي ترغب في أن يصرف عليه ريع أو أرباح هذا الوقف.

"يعني لو كتبت الكلام السابق تكون الوقفية صحيحة؟!"

لا.. لا.. ليس بعد.. "مستعجل على إيه بس!" الوقفية أيضا يجب أن تكون:

مكتوبة بصيغة حازمة، وغير مرتبطة بشرط يمكن أن يحدث أو لا يحدث. مثلا لا يصح أن تكتب في الوقفية "أوقفت داري على الفقراء إلى أن يتم الله شفاءه على أبي" ولايجوز أيضا أن تربط الوقف بصيغة مستقبلية كأن تكتب في الوقفية "أوقفت داري على الفقراء لو حصلت على ١٠٠ ألف جنيه" غلط.. لا يجوز.. في هذه الحالة يصبح ما قمت به نذرا وليس وقفية.

أيضا الوقفية يجب أن تكون ملمة بكل التفاصيل التي سيتم فيها صرف ريع الوقف، فلو مثلا وقفت منزلك على مدرسة يجب أن تحدد مرتبات المدرسين والعمال ولا تتركها هكذا للطبيعة! ومن أهم شروط الوقف أن تحدد بالاسم "ناظر الوقف" وهو يعتبر بمثابة مدير للمشروع ويجب أن تحدد في الوقفية كل مهامه بالتفصيل الممل برضة.

بل أن بعض الوقفيات كانت من الدقة التي وصلت إلى أن الواقف كان يحدد فيها الطريقة التي يتم بها اختيار خلف لناظر الوقف في حالة رحيله أو شعوره بالتعب وعدم قدرته على القيام بعمله.

أسئلة .. أسئلة !

أكيد سيكون لدى الكثير منكم بعض الأسئلة بخصوص ما فات ..
ولأننا بلد ديمقراطي جدا إسمحوا لنا أن نقول نيابة عنكم هذه الأسئلة
وأن نجيب عنها أيضا! "قمة الديمقراطية"

هل يمكن الوقف على النفس؟ هل يمكن يعنى أن استفيد أنا من الوقف ؟
سؤال وجيه جداً .. كان محل خلاف بين الفقهاء وانقسموا إلى فريقين

- يعنى كده الوقف خيري وبس؟!
لأ مين قال كده؟، هناك أيضا وقف أهلي:
ويقصد به أن يكون الواقف قد نص في الوقفية على أحد أو أكثر من أقاربه وذريتهم من بعدهم كمستفيدين من الوقف.

- يعني أنا برضة معرفش أستفيد من الوقف خالص؟
مين قال كده
ممكن جدا ينص الواقف على أن يصرف ريع الوقفية على نفسه هو شخصيا
وعموما معظم الأوقاف جمعت بين كونها أهلية وخيرية كأن يخصص الواقف جزء معين من ريع الوقف لأحد أبنائه بينما يخصص الجزء الأخر لجهة من جهات الخير، بل أنه في كثير من الأحيان فإن الوقف الأهلي كان يتم صرف ريعه إلى جهة خيرية بعد انقراض الأفراد المنتفعين به.

ماهى العقارات والمؤسسات التى يمكن وقفها؟!

الناس زمان كانوا يحبون عمل الخير لدرجة أنهم أوقفوا كل شيء وأي شيء يمكن أن يأتي بربح أو منفعة.. خذ عندك..

كثير من الموقوفات كانت أراضي زراعية وكذلك دور أي"بيوت" وأسواق وحوانيت "محلات" وحتى حمامات. بل أن المصريين لم يتركوا القهاوي إلا وقد أوقفوها بعد أن انتشرت في البلاد في القرن السادس عشر عندما انتشر البن هو الآخر.

كتب التاريخ تذكر لنا أنه عندما فتح العثمانيون مصر في حكم السلطان "سليم الأول" وجدوا أن ٤٠ % من كل الأراضي الزراعية في مصر كانت موقوفة ".. الشعب المصري كريم طول عمره!"

السلطان سليم الأول
الذى ضم مصر إلى الامبراطورية العثمانية
١١ محرم ٩٢٣ هـ - ٣ فبراير ١٥١٧ م

ماهى الجهات الخيرية التى كانت تدعمها الأوقاف ؟

نقول لك.. كانت أكثر المؤسسات التي تتلقى الدعم من الأوقاف هي المساجد والمدارس بطبيعة الحال، لكن دخل معهم مؤسسات أخرى مثل البيمارستانات والخانقات والزوايا والكتاب والسبيل و..... إحم.. نسينا أن نقول لكم أصلا ماذا تعنى هذه الكلمات الغريبة.. ممكن تنظر على السطور التالية:

البيمارستان:

هو مستشفي لعلاج الفقراء بصفه خاصة وأيضا مكان لتعليم مهنة الطب وعادة ما كان يلحق به مكتبة طبية وطبعا كان به أيضاً حمام ومطابخ.. ومقابر "يعني لو فشلوا فى العلاج فلا يتعبوا في الدفن!"

المدرسة:

كانت في هذه الفترة مؤسسة للتعليم العالي وغالبا ما كانت تدرس العلوم الفقهية. وكانت المدرسة تضم صحناً كبيراً به العديد من التجمعات التي يدرس كل منها مذهبا معينا. وكانت معظم المدارس تضم غرفاً لسكن الطلاب والمعلمين وبطبيعة الحال كانت تضم "المطبخ والحمام إياه!" وكانت الصلاة تقام أيضا في المدرسة واعتبرت كجامع.
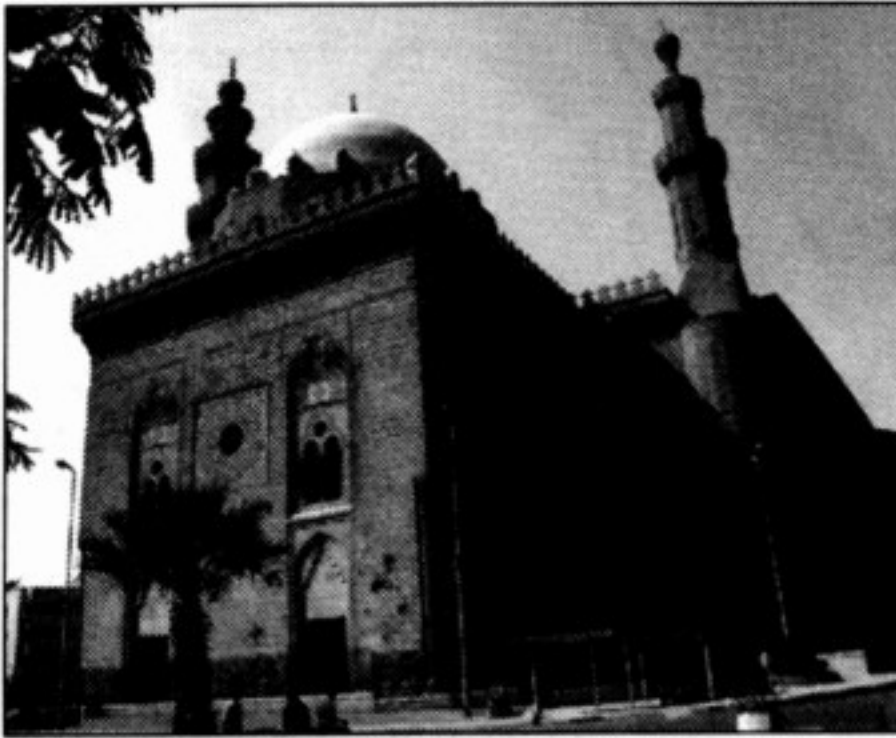
من أشهر مدارس القاهرة مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، السلطان المملوكي الذى حكم مصر من سنة (١٣٤٧ - ١٣٥١م) ثم أعيد للسلطة ما بين (١٣٥٣ - ١٣٦٠ م)

الكتاب:

مؤسسة لتعليم الصغار القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، وفي الأغلب كان يلحق بمسجد أو سبيل. "أيوه السبيل اللي تحت ده!"

السبيل:

والسبيل عبارة عن مبنى به أبيار وصهاريج لحفظ المياه وتوزع منه المياه على عموم الناس، وفى العصور القديمة لم يكن حصول المجتمعات العربية والإسلامية على مياه شرب نقية أمراً سهلا مثل الآن، ولذا كان توفير مياه الشرب عملاً خيرياً شديد الأهمية، وكان السبيل هو أهم وسيلة لتقديم مياه الشرب في هذه الفترة وتقول كتب التاريخ أن وقف "مصطفى جلبي أفندي بن الدفتردار مراد جلبي أفندي" (طويل شويه بس ده اسمه اللي في البطاقة الشخصية!) الذي أسسه في اسطنبول بتركيا عام ١٥٧٠ تضمن بالإضافة إلى أشياء أخرى توزيع مياه للشرب على الفقراء وعابري السبيل وأن يكون مصدرها ثلج نقي في أثناء الثلاثة شهور من الصيف الحار .
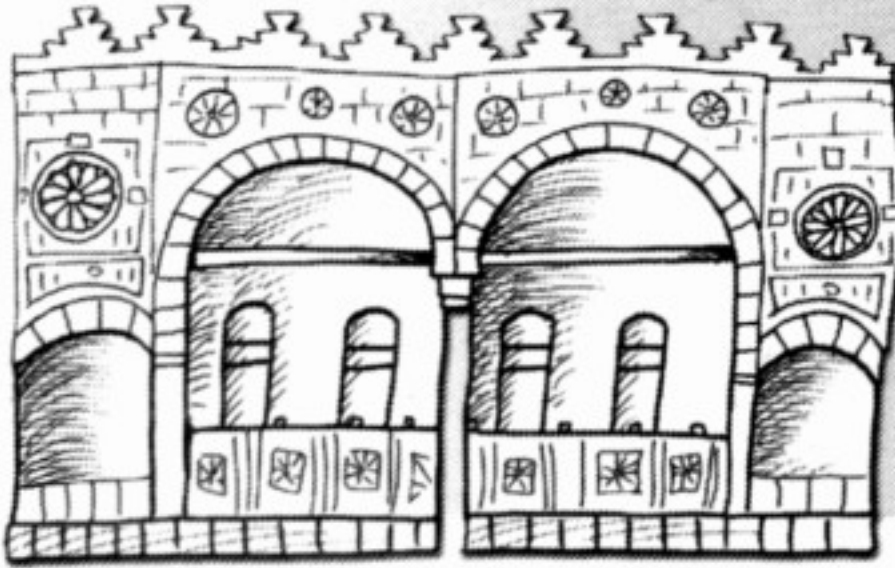
الخانقاه والزاوية والرباط:

وهي مؤسسات صوفية كانت تتضمن مسجدا ومكاناً لإقامة أتباع إحدى الطرق الصوفية ومطابخ أيضا "يعني الأكل هيتعمل فين!" وكثيرا ما كان يوجد بها ضريح لأحد مشايخ الطرق الصوفية. واختلاف المسميات "الخانقاه- الزاوية- الرباط" كان باختلاف البلاد الإسلامية واختلاف العصور.
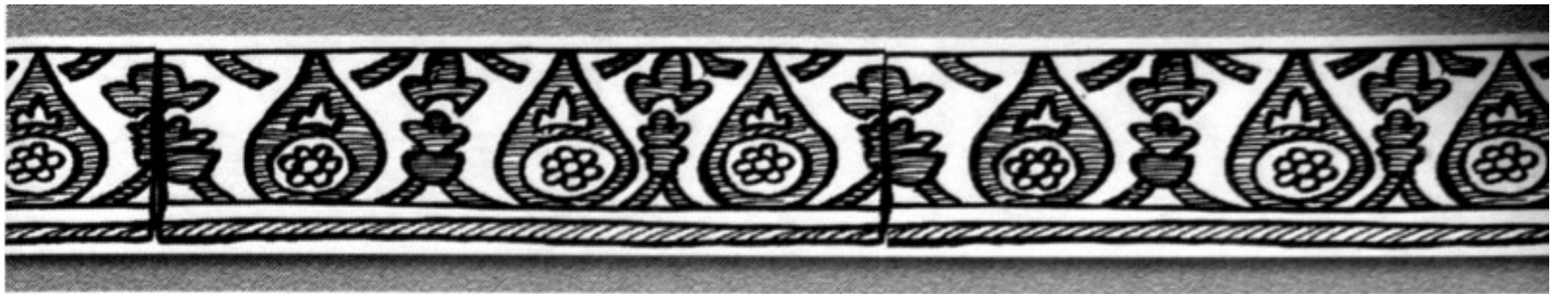
لماذا يوقف الناس أملاكهم؟!

فعلا هذا السؤال سخـ...نقصد صعب بعض الشيء.. لأنه من المستحيل أن ندخل في نوايا الناس الذين أوقفوا أملاكهم حتى نعرف السبب وراء قيامهم بهذا الفعل.. لكن أيضا لا يرضينا أن تسأل سؤالا دون أن تحصل له على إجابة.. ولهذا ومن خلال متابعتنا لتاريخ الوقف عبر العصور من الممكن أن نستنتج بعض الأسباب وراء إقبال الناس على وقف أملاكهم..."عد معانا":

السبب الثانى:

ـ عدم تفتيت الثروة وفي حالة بعض الأسر الكبيرة التى كثر بها عدد الورثة الشرعيين لجأ البعض إلى وقف أملاكه على أولاده الذكور فقط وليس البنات منهم حتى يطمئن أن تظل الثروة فى يد أسرته من بعده ولا تذهب الى أزواج البنات. وفي حالات عدم وجود أبناء ذكور لجأ البعض الى الأوقاف لحجر التركة على البنات الإناث دون أعمامهن والعائلة الممتدة/ الكبيرة، وهذا النوع من الأوقاف إنتشر بشكل واضح فى بعض الدول الإسلامية.

لجأ البعض إلى وقف الأملاك على أولاده فى الفترة التي سيطر فيها المماليك على معظم منابع الثروة والسلطة في مصر. وبالرغم من أن أولادهم كانوا يتمتعون بكل درجات الثراء والأبهة التي جعلت باقي الشعب يطلق عليهم لقب "أولاد الناس"، كان الغريب جدا أن أولادهم لا يحق لهم أن يرثوا الثروة أو يدخلوا الجيش الذي هو أهم مؤسسة فى هذا الوقت. وهو ما يعني ضياع الثروة التى جمعها الأباء فكان الحل في.. الوقف.. إذ لجأ بعض أمراء المماليك إلى وقف بعض أملاكهم على أولادهم وبناتهم للالتفاف على العرف السائد ولضمان بقاء الثروة بين يد أبنائهم لأكبر فترة ممكنة.

الأوقاف ومؤسساتها ترتبط باسم الواقف وعائلته فى حياته وبعد مماته، مما يخلد ذكره وسمعته ولو لفترة من الزمن، ويضيف بذلك لقيمته وقيمة عائلته الاجتماعية والسياسية، " الأمر أشبه بأن يقوم أحد الأثرياء فى الحى، الجزارمثلا، ببناء مسجد ليرفع من شعبيته و مكانته فى الحي، ويظهر بصورة رجل البر والتقوى وإذا رشح نفسه فى يوم من الأيام فى انتخابات مجلس الشعب يجد شعبية كبيرة حتى يظل الناس يرون فيه صورة السياسي المتدين، وبالتالي فإن ذلك يعود عليه بالنفع فى الانتخابات" .

ولهذا السبب كان الواقف في الأغلب ما ينشيء مؤسسات خدمية سواء كان جامع أو سبيل أ
مدرسة فى المنطقة التي يقيم فيها حتى
يضمن أن تضيف الأوقاف إليه مكانة
إجتماعية يمكن أن تتطور وتكبر.

البحث عن جذور

كــان الـمـمــاليك الذين حكمـوا مـصـر والشـام فى الفترة ما بين ١٢٥٠ - ١٥١٧م يعـانون من نظرة المجتـمع لهم بصـفـتـهم من أصول مملوكية. أى أنهم كانوا كلهم عبيدا تم شراؤهم من بيت المـال ثم تم عـتـقـهم بعـد تدريبهم العسكرى، كما أنهم لم يولدوا مـسلمـين بل أسلمـوا كـجـزء من هذا التدريب.

ونجح المـماليك من خـلال التوسع في الأوقـاف في أن يصنعوا لأنفسهم مكانة في المجتمع ونوعاً من الشرعية وأن تتـحـسن صـورتهم لدى العامة ولدى الفئات الدينية والعلماء في مصر والحرمين والشام حتى كونوا شبكات اجتماعية تدين لهم بالولاء.

فـالمـمـاليك بصـفـتـهم ضـبـاط وعـسكريين في الجيش دخلوا في خلافات ومشاحنات مع العديد من المـصـريين، الأمـر الذي جـعـل المصريين ينظرون لهم كـغـرباء أو دخـلاء .. هنا لعبت الأوقـاف دورا مهمـا جدا في إذابة الحواجز بين طبقة المماليك الحاكمة والشعب.

كـان البـعض يوقف بهـدف ضـمـان توزيع جـزء من ثروته على أشخاص محددين لا يجوز لهم الميراث.
مش واخد بالى إزاي يعنى؟!

فـمـثلاً المستولدات هن جواري ولدن لأسيادهن أولاداً ولم يكن لهن أنصبـة فى المـيـراث الشـرعى كـالزوجـات، إلا أن الإسـلام أعطى قـدراً من الحـمـاية للمستولدات إذ تصبح الواحدة حرة فور أن يموت سيدها ولا يجوز بيعها لسيد آخر كـمـا أن لأولادها الحق في أن يرثوا من أبيـهم مـثلهم مـثل أولاده من الزوجـات الشرعيات. ولكن بعض الناس خوفا من أن يتم التعـامل مع المسـتولدات بشيء من الغلظة من الورثة الشـرعـيـين "وهو أمـر متوقع ووارد" لجأوا زيادة فى الضمان إلى تخصيص جزء من ريع الوقف لهن، كـمـا نصـوا فى الحجة "الوثيقة" على ضمانات مثل أن تظل المستولدة مقيمة فى بيت سـيـدهـا حتى بعد وفاته حماية لها.

فى عام ١٧٩١ قام التاجر المصرى «إبراهيم شلبى الغزالى» بإنشاء وقف على معتوقة ابنه «غوسون بنت عبد الله» التى لم تكن من الورثة الشرعيين ولم يكتف بهذا فحسب..

الاحتمالات متنوعة وتعكس في نفس الوقت أفكاراً ودوافع مختلفة بالإضافة إلى الاسباب التقليدية التى شجعت الوقف في جميع العصور:

ربما يكون انتعاش في التجارة أدى إلى تكوين ثروات أكثر توزعت على نسبة أكبر من المجتمع بحيث لم تنحسر الثروة فقط لدى الطبقة الحاكمة بما سمح باستثمارات مختلفة بعضها متوسط أو حتى صغير.

أو زيادة وطأة الجبايات والضرائب المختلفة وتذبذب قيمة العملات ومحاولات رجال الدولة السيطرة على ثروات الافراد عن طريق المصادرات وخلافه جعل حتى الثروات المتوسطة مهددة فلجأ الكثيرون إلى الأوقاف لحماية أملاكهم، خاصة وأن المال المستثمر في الأوقاف يصعب مصادرته فكان التاجر يلجأ إلى الوقف حماية لفلوسه وثواب برضة.

في ٢٠ محرم ١٠٢٩ هـ صادر والي مصر مصطفى باشا أموال بعض التجار. وقتها قام إسماعيل أبو طاقية شاهبندر التجار آنذاك بحركة ذكية للغاية، إذ أوقف إحدى وكالتيه اللتين كانتا قد فرغ من بنائهما العام السابق فقط، وأنقذ بذلك الوكالة من المصادرة لأن الشريعة كانت تحرم مصادرة الاوقاف. "محدش عارف مين بقى اللي أوحى له بهذه الفكرة الجهنمية أو بلغه بالقرار قبل صدوره!"

الأوقاف والدولة..حبايب حبايب ..
أعداء أعداء!

ظلت العلاقة بين الدولة والأوقاف مرهونة بالأوضاع الاقتصادية. فالأوقاف وسيلة لتجنب الضرائب ومصادرات الأملاك التي كثيرا ما لجأت إليها الحكومات في محاولة للسيطرة على موارد الدولة وتحجيم نفوذ رجال الحكم. ظهر هذا بالذات في عصور القهر السياسي والأزمات الاقتصادية.

إلا أن العلاقة الحلوة بين الطرفين القائمة على "صباح الخير ياجارى أنت فى حالك وأنا فى حالى" لم تكن هي القائمة على طول الخط.

فالأوقاف خضعت للضرائب من قبل بعض الحكومات في أوقات الأزمات المالية الشديدة خاصة أن الأوقاف طالت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي كانت الضرائب المفروضة عليها والمعروفة باسم "ضرائب الخراج" المصدر الرئيسي لدخل الدولة في العصور الوسيطة في مصر وكثير من بلدان العالمين العربي والإسلامي وبالتالي فإن التخلي عن جزء مهم من دخل الدولة كان أمرا صعبا جدا.. وكان الصدام بين الحكومات والأوقاف لا مفر منه.

ففي حالات اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية لجأت الدولة إلى فرض الضرائب على الأراضي الموقوفة أو حل الأوقاف وضمها إلى بيت المال أو الاقطاعات، بل أن الدولة لجأت في بعض الأحيان إلى تحصيل ايجارات عقارات وحوانيت الأوقاف لصالح الدولة نفسها وفقدت الأوقاف واحدة من أكثر مميزاتها المالية بطبيعة الحال!

الأوقاف.. نفوذ وسلطة.. وسرقة!

لأن السلطة المطلقة والنفوذ المطلق يمهدان كل الطرق للاستغلال والاستيلاء على ما هو ليس بحق "مثلما يحدث الآن وفى كل العصور" فإن الأوقاف رغم أنها في الأساس تهدف إلى تعظيم قيمة العمل الخيري التطوعي، استخدمت كغطاء للاستيلاء على أراض وعقارات ليست من حق من استولوا عليها. كيف؟! مثلما يحدث تقريبا الآن..

كثير من رجال الدولة كانوا يستفيدون من نظام الاقطاع والالتزام الذي أعطى لهم حق جمع الضرائب نيابة عن الدولة في مقابل مبالغ معينة من المال تدفع مقدما أو نسب معينة من الايراد أو في نظير خدمات أخرى يقدمونها للدولة كوظائف عليا مثلاً.

رجال الدولة هؤلاء لجأوا الى تسجيل هذه العقارات والأراضي كأوقاف لإثبات ملكيتهم لأراضي الاقطاع أو الإلتزام. وفي الأصل هذه العقارات والأراضي الاقطاعية أو الالتزامية كانت تابعة للدولة وكانت تؤول مرة أخرى للدولة عند انتهاء مدة الاقطاع أو الالتزام أو عند وفاة المقطع أو الملتزم، فهي لم تكن ملكا خالصا له بل ملكا للدولة. وبالتحايل على هذا النظام أمكن للكثير من رجال الحكم السيطرة على موارد اقتصادية عن طريق تحويلها إلى أوقاف.. يعني بالبلدي كده.. حاميها حراميها!

انتشار هذه العادة السيئة شجع الكثير من الحكومات على القيام بمسح للأراضي الزراعية بصفة خاصة لتحديد حيازتها وملكيتها في محاولة لإعادة مساحات كبيرة إلى سيطرة الدولة مرة أخرى.

والى مصر محمد علي قام بهذا المسح فور أن تولى حكم البلاد فى القرن التاسع عشر.

الوقف.. بالفرعونى.. والمسيحى.. والإسلامى

فكرة الوقف الخيري أو الأهلي فكرة موجودة فى كثير من الحضارات و الأديان

ماهو الأساس الفقهي الذى بني عليه الوقف؟

في الإسلام كان الوقف وسيلة للتقرب من الله وكانت الصدقة وعمل الخير هي الأساس الفقهي الذي قام عليه الوقف كما جاء في القرآن الكريم ..

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما

[سورة آل عمران: الآية ٩٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له."

اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام كل الأملاك التي آلت إليه صدقات موقوفة على المسلمين ورفض توريثها إلى أهل بيته، ويروى أنه بعد وفاة الرسول ذهبت السيدة فاطمة مع العباس عم النبي إلى أبي بكر وطلبا منه ميراثهما من رسول الله. فقال لهما ابو بكر: "أما أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل أهل محمد في هذا المال وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته."

وفي هذا الحديث نواة لفكرة الوقف المشترك بين أهلي وخيري، حيث أراد النبي أن يشترك أهله وعموم المسلمين معا في ريع الأرض التي كانت قد آلت إليه في حياته.

■ ■ ■ ■ ■

أصاب عمر بن الخطاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم يستأمره فيه، قال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمرني؟

فقال رسول الله: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرتها.

فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها على الفقراء والمساكين.

وكتب هذه الصدقة في خلافته و بعد وقف عمر بن الخطاب وقف جميع الصحابة الدور والأراضي وأصبحت هذه الأوقاف دليلاً يدعم فكرة الوقف و مكانته في المجتمع الإسلامي.

مصر عرفت الوقف قبل دخول الإسلام

الوقف القبطى

وكان الأقباط يوقفون لجهات خيرية منها مثلا الأديرة وكانت الكنيسة ورجال الدين هم الذين يتولون الإشراف على إدارة ونظارة الوقف.
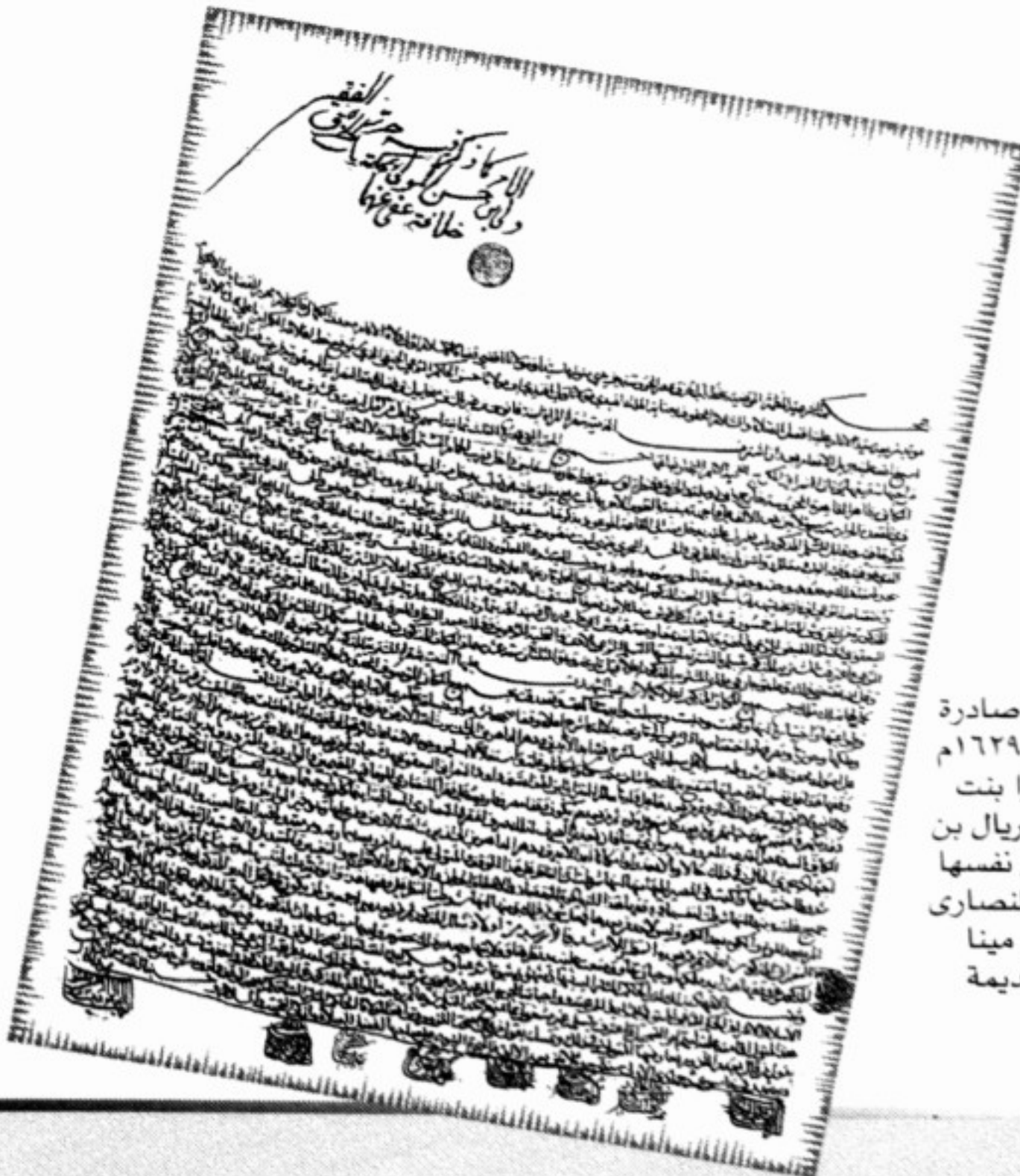
صورة لوقفية صادرة سنة ١٠٣٩هـ - ١٦٢٩م أوقفته شقرا بنت فانوس بن غبريال بن ميخائيل على نفسها وعلى فقراء النصارى بدير مارى مينا بمصر القديمة
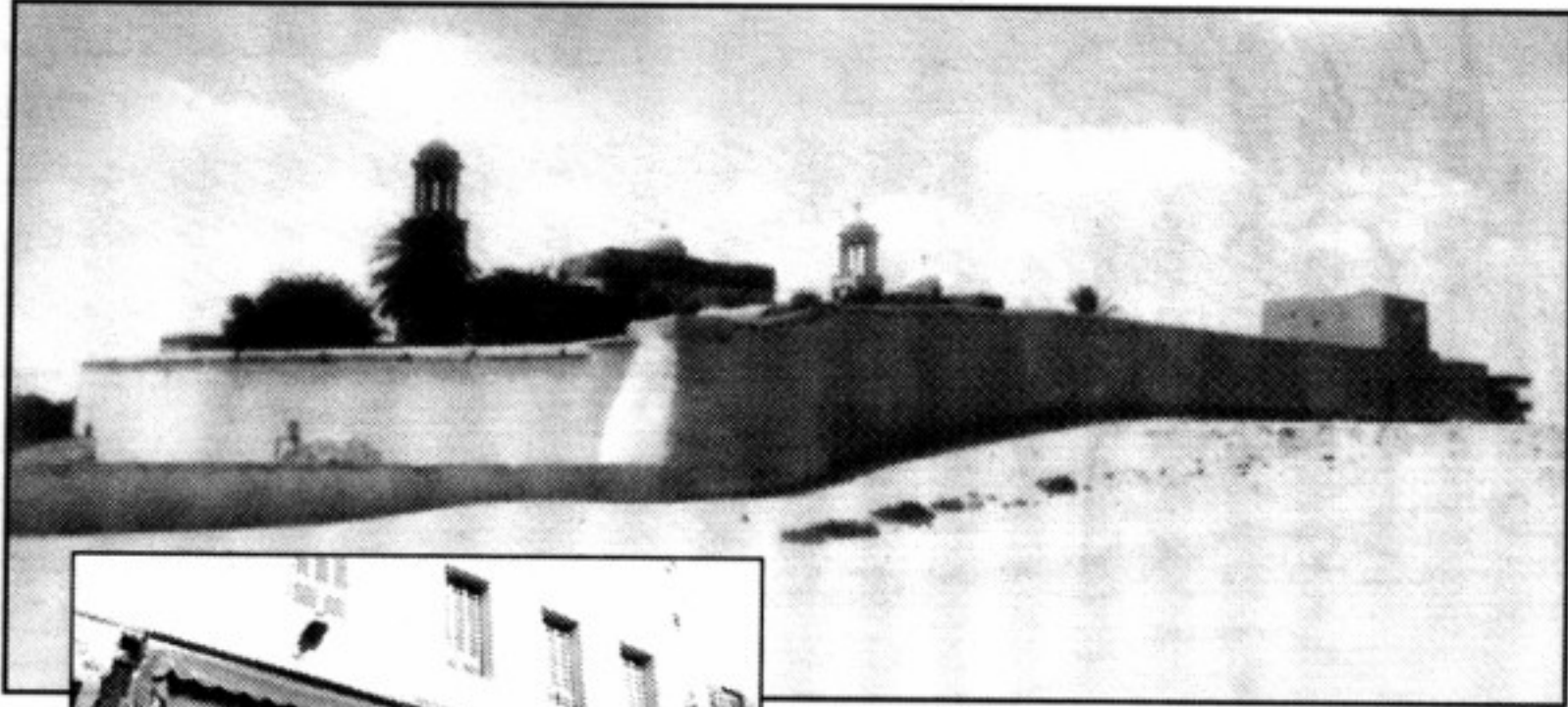
دير السوريان بوادى النطرون

دير الشهيد
مارجرجس
للراهبات

وبعد عام ١٩٥٢م

الرئيس المصرى
جمال عبد الناصر
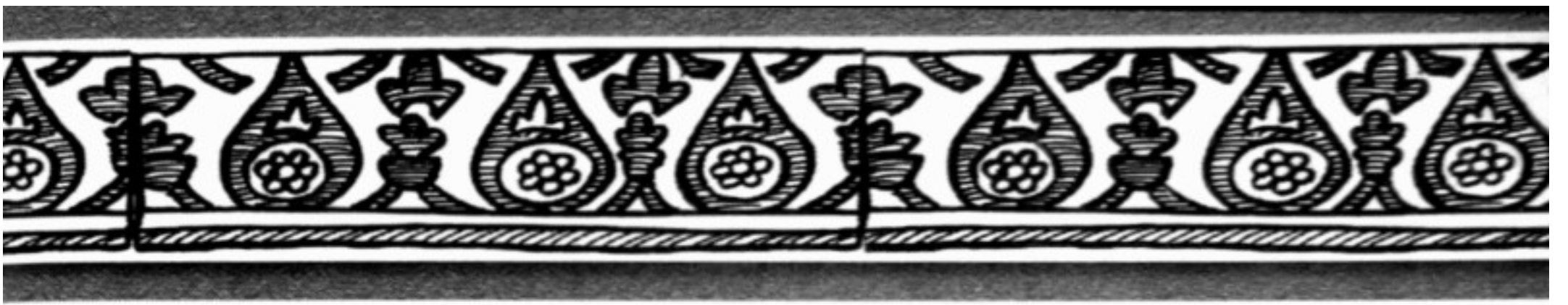
مثل المصريين من مسلمين وأقباط، أوقف بعض أبناء الجاليات الأخرى المقيمون فى مصر أملاكهم وثرواتهم كلها، أو معظمها أو بعضها، للانفاق من ريعها على فقراء طائفته أو جاليته أو على التعليم والشؤون الاجتماعية والثقافية، ويتضح ذلك مع الطائفة الأرمنية واليهودية.

معظم الأوقاف التي أقامها أفراد من الجالية الأرمنية خصصت للتعليم، فاهتم الأرمن بالتعليم كوسيلة للحفاظ على الهوية والاصالة العرقية.

الوقف.. بالأرمني

الواحد لما بيعمل خير بفلوسه بيكون مبسوط

مدرسة كالوسديان

مدرسة بدروسيان

- ١٩٠٦ -

المدرسة اتغير اسمها عشان التاجر الأرمني "جرابيد أجاكالوسد" وقف أكثر من ٢٠٠ فدان عليها بس

السيدة الأرمنية حرم جانيك شاكر كانت من أشهر من أوقف

وكانت زوجة "جانيك شاكر" مدير عربات النوم الدولية في مصر والشرق الأوسط لفترة طويلة من الزمن وقد أوقفت وقفا يقدر بالملايين وظفته الجمعية الخيرية الأرمنية في خدمة التعليم وكذلك علاج كافة شرائح المجتمع الأرمني في مصر وتخصيص إعانات للأرامل والعجزة ومحدودى الدخل والأيتام .

اليهود المصريون كمان كان لهم أوقاف..

حارة اليهود

وكانت أوقافهم معفاة من الضرائب وغير قابلة للمصادرة مثلها مثل الأوقاف الأخرى. واستمرت أوقاف اليهود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وشملت كافة الأغراض الحياتية والاجتماعية.
فمثلاً أوقف يهودي يدعى افراهام هكوهين وقفا من ٥٠٠ عملة أوروبية ورثها عن أبيه وكان الغرض من هذا الوقف الذي خصصه للحاخامات أن يقيموا الصلوات ثلاث مرات أسبوعياً ويطلبوا خلالها المغفرة والعفو عن أبيه.

أثرياء الطائفة اليهودية في مصر أمثال هراري باشا، وقطاوي، بنزايون، عدس، ريفولي، شيكوريل وسوارس أوقفوا مبالغ على مستشفى حارة اليهود التي كان العلاج بها بالمجان.

بل إن أصول الوقف تعود حتى إلى مصر الفرعونية

النساء والوقف

تعتبر الوقفيات بالإضافة إلى سجلات المحاكم الشرعية من المصادر الوثائقية القليلة التي تصور حياة النساء في المدن العربية والإسلامية وتاريخهن الاجتماعي والاقتصادي. ومن خلال قراءة الوقفيات يمكن للمرء أن يتعرف على المستويات الاقتصادية المختلفة لأفراد المجتمع، ودور الأفراد في الاقتصاد، بما في ذلك النساء.

من أين أتت النساء بالأموال اللازمة للوقف؟!

سؤال وجيه.. وإجابته سهلة جدا.. من أكثر من طريق..

الميراث

حق الميراث الذي منحته الشريعة للنساء سمح لهن بالتصرف في أموالهن الموروثة بالطريقة المفيدة لهن.

المهـــــر الذي يدفع للنساء عند زواجهن ساهم في تكوين مبالغ تحت سيطرتهن فمن باستثمارها في مشاريع مختلفة بعضها ضمن الأوقاف.

الاستثمار وكانت بعض النساء من ذوات رؤوس الأموال تستثمر الأموال في التجارة أو في الأوقاف.

كثير من النساء الواقفات كانت أوقافهن أهلية نصصن فيها على أنفسهن كناظرات للوقف وكموقوف عليهن فكن يستفدن من الوقف فى حياتهن ويضمن دخلا ثابتا حماية من الضرائب .

نصت معظم وقفيات النساء على الوقف على أولادهن ومعتوقاتهن.

أرقام.. وقفية.. نسائية!

نشطت النساء كمؤسسات للوقف في العصر المملوكي، ثم مرة أخرى في أواخر القرن الثامن العشر أثناء الحكم العثماني. وهذا في الأغلب يرجع إلى عدم استقرار الأوضاع السياسية.. والأرقام لاتكذب..

من خلال دراسة للمؤرخ محمد أمين لألف وقفية ترجع إلى العصر المملوكي تبين أن ٢٨٣ وقفية منها لنساء. كذلك في دراسة لأوقاف القرن الثامن عشر في مصر، تبين أن من ٤٩٦ وقفية مسجلة في سجلات وزارة الأوقاف، ١٢٦ منها كانت لنساء. مما يشير إلى أن وقفيات النساء شكلت حوالي ٢٥ % من إجمالي الوقف المؤسس. وكانت نسبة مشاركة النساء في الوقف في أماكن أو مقاطعات أخرى من الدولة العثمانية أيضاً مرتفعة بحيث وصلت إلى ٣٦ % في إسطنبول، عاصمة الدولة العثمانية، في القرن السادس عشر، و٢٠ % في ادرين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، و ٣٦،٣ % فى حلب في القرن الثامن عشر، وفي القدس في القرن التاسع عشر وصلت نسبة أوقاف النساء إلى ٢٤ %، وفي يافا وصلت إلى ٢٣،٤ % طوال العصر العثمانى.

وفى ١٩٦٢-١٩٦٣ كان هناك ٨٠ وقفاً أسسته نساء من أصل ٣١٢ وقفاً كان مازال قائماً ومدرجاً في ميزانية الأزهر.

كما هو متوقع، فإن الغالبية العظمى من الأوقاف قام بتأسيسها أفراد من النخبة والطبقة الحاكمة، لأن هذه الطبقة هي التي توفر لديها فائض مادي استطاعت أن تستثمره في الأوقاف إلا أن الطبقة الوسطى كانت حاضرة أيضاً. "وإن كانت أوقاف الطبقة المتوسطة تتكون عادة من عقارات أقل من أوقاف النخبة سواء فى عددها أو قيمتها المادية والنساء كن حاضرات فى الفئتين. قامت نساء عديدة بإنشاء وإدارة أوقافهن، فلم يقتصر دورهن على إنشاء الوقف فقط".

خوند شقرا ابنة السلطان ناصر فرج

كانت ناظرة قديرة للوقف بعد وفاة أبيها.. وفي عهد السلطان الظاهر "خشقدم" حدث نزاع بينها وبين الوزير "خيربك حديد الأشرفي" حول أراضي زراعية في الفيوم تابعة لهذا الوقف

إن فيضان النيل قد طغى على الأرض وحولها إلى جزر وهو ما يعني أن الوقف انتهى بتغير حال الأرض

لقد أكد السلطان حق الوقف في هذه الجزر الجديدة.. وسأؤجر لك هذه الجزر بحكم إنى ناظرة الوقف

أني أريد أن أؤجر الأرض لشخص آخر غير الوزير الذي استغل أرباح الوقف لحسابه

بعد أن استعنت بمشورة القضاة الأربعة واجتمعت معهم قرر المجلس في النهاية التصديق على حق "خيربك" في التمسك بإيجار الأرض لأنه انفق من ماله الخاص على تحسينها بينما أكدوا حق الأميرة في الاحتفاظ بأرباح الوقف

بنبا ابنة عبد الله زوجة أحمد أفندى القدسي

يذكر كامل الغزي في كتابه "نهر الذهب في تاريخ حلب" أن بنبا ابنة عبد الله زوجة أحمد افندي القدسي قامت عام ١٨٥٨م بوقف بناية صغيرة جدا على المدرسة الصلاحية فى حلب ثم على فقراء الحرمين.

وكان وقف هذه المدرسة المنشاة في ١٣٣٦م قد تدهور على مر الزمن وقل ريعه بحيث لم يكفِ لسداد مرتبات الطلاب والمؤذن والمدرسين. فما كان من الحاجة "بنبا" إلا أن قامت بعمل طيب آخر...
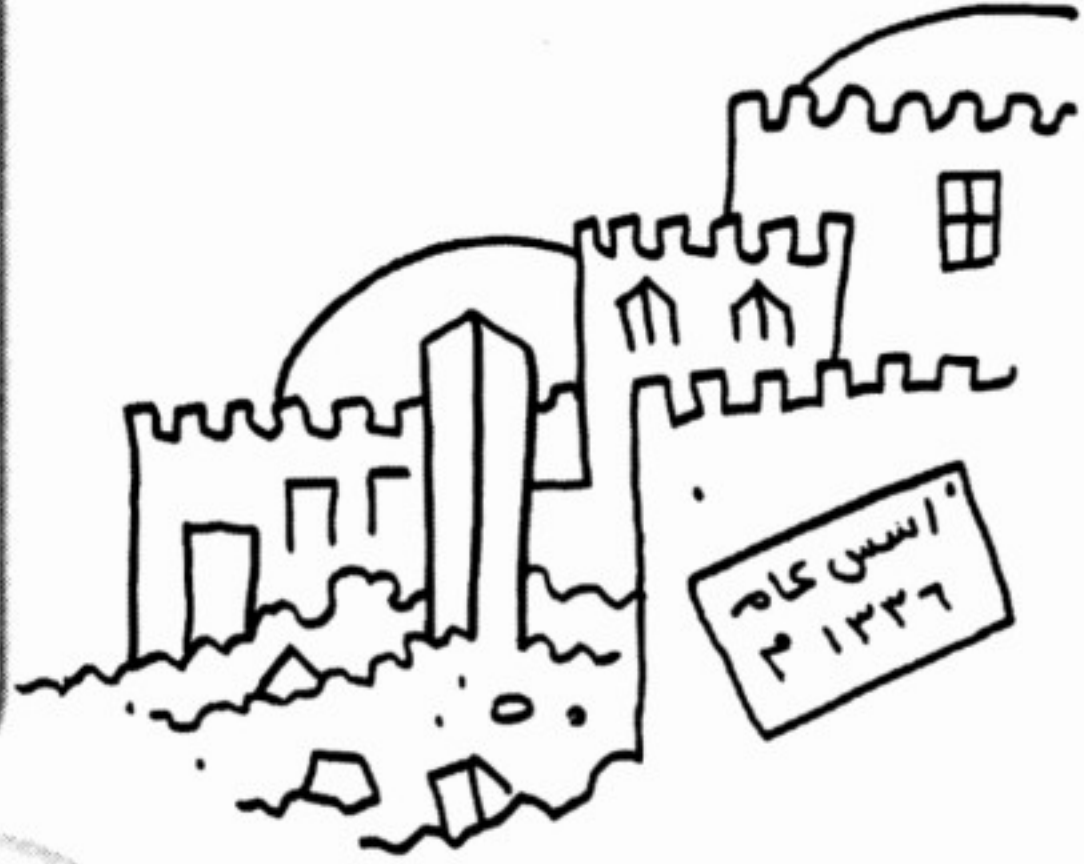
الهروب بالثروة.. ومن الموت!

في فترات الأزمات السياسية لجأت النخبة الحاكمة إلى تحويل كثير من ثرواتها إلى نساء هذه الطبقة لتفادي المصادرات؛ فكانت النساء ضامنات للثروة بطرق عدة، فهن كن أقل عرضة للقتل في المعارك الحربية أو الصراعات بين الطوائف المملوكية المختلفة كما أن وضعهن كنساء وفر لهن قدراً ما من الأمان والحماية.. وافتح معنا صفحات التاريخ...

- **كانت بعض النساء ناظرات على أوقاف آبائهن حتى مع وجود إخوه ذكور**

فاطمة ابنة علاء الدين علي بن خليل خزبك

والدها كان أحد أمراء الناصر محمد، وكانت على دراية بإدارة الأملاك وكانت تسيطر على مبالغ وأملاك كبيرة حتى قبل أن تتزوج السلطان قايتباي.. وكانت ذات حضور قوي ومؤثر وكانت زوجته الوحيدة...

● واشترت الأميرة فاطمة العديد من الأملاك في عدة مناطق قبل زواجها من قايتباي..

أنا أملك أراضي زراعية في الغربية والأشمونين والمطرية.. يعني بنت عز!

● وبعدالزواج.. والممات..

وفي عهد السلطان الغوري المعروف بمصادراته الواسعة للأوقاف في فترة الأزمات الاقتصادية، بما في ذلك أوقاف الكثير من الأمراء والأقوياء..

زوجة الشيخ الشرقاوي شيخ الأزهر من ١٧٩٣-١٨١٢

كانت معروفة بحسن إدارتها لأموال زوجها ومساعدته فى تنمية ثروة لا بأس بها.
ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى أن ثروة الشرقاوى تعود إلى حدس زوجته الاقتصادي والمالي وحسن إدارتها لثروته، إذ اشترت بالمال عقارات مختلفة..
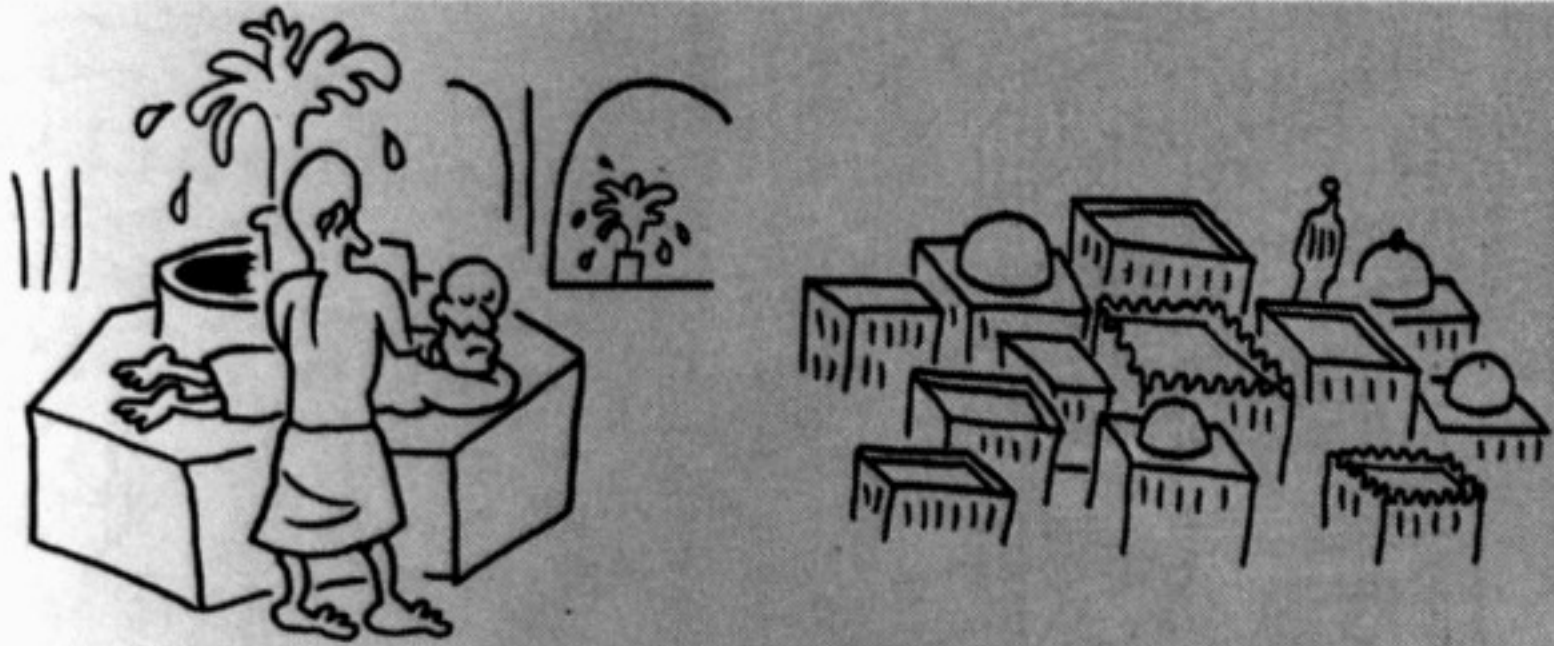
● وبعد وفاة الشرقاوي..

في الأوقاف.. البنت زي الولد!
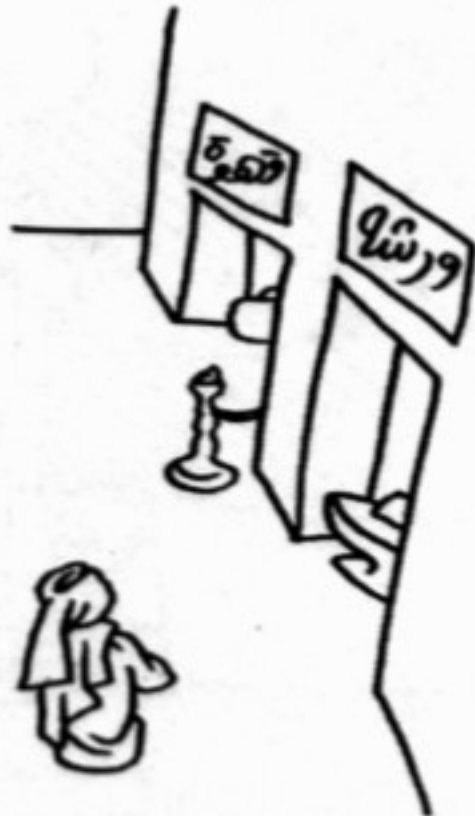
تظل الأوقاف مصدراً جيداً للتعرف على نوعية الأملاك التي كانت متاحة للنساء على مر العصور الإسلامية. وتدل الأوقاف على أن أملاك النساء لم تختلف كثيرا عن أملاك الرجال.. فقد ذكرت الوقفيات أن النساء كن يتملكن دوراً وحمامات ومقاهى وأراض زراعية..

تنوع هذه الأملاك يدل في حد ذاته على المعاملات الاقتصادية المعقدة التي قامت بها النساء فالملكية كانت تعني أيضا قدراً ما من الإدارة والتعامل مع فئات اجتماعية واقتصادية مختلفة سواء تجار أو مستأجرين أو حرفيين أو غيرهم .

فالوكالات مثلا كانت من أكبر وأربح المشاريع التجارية، فكانت تضم حواصل لتخزين البضائع التجارية
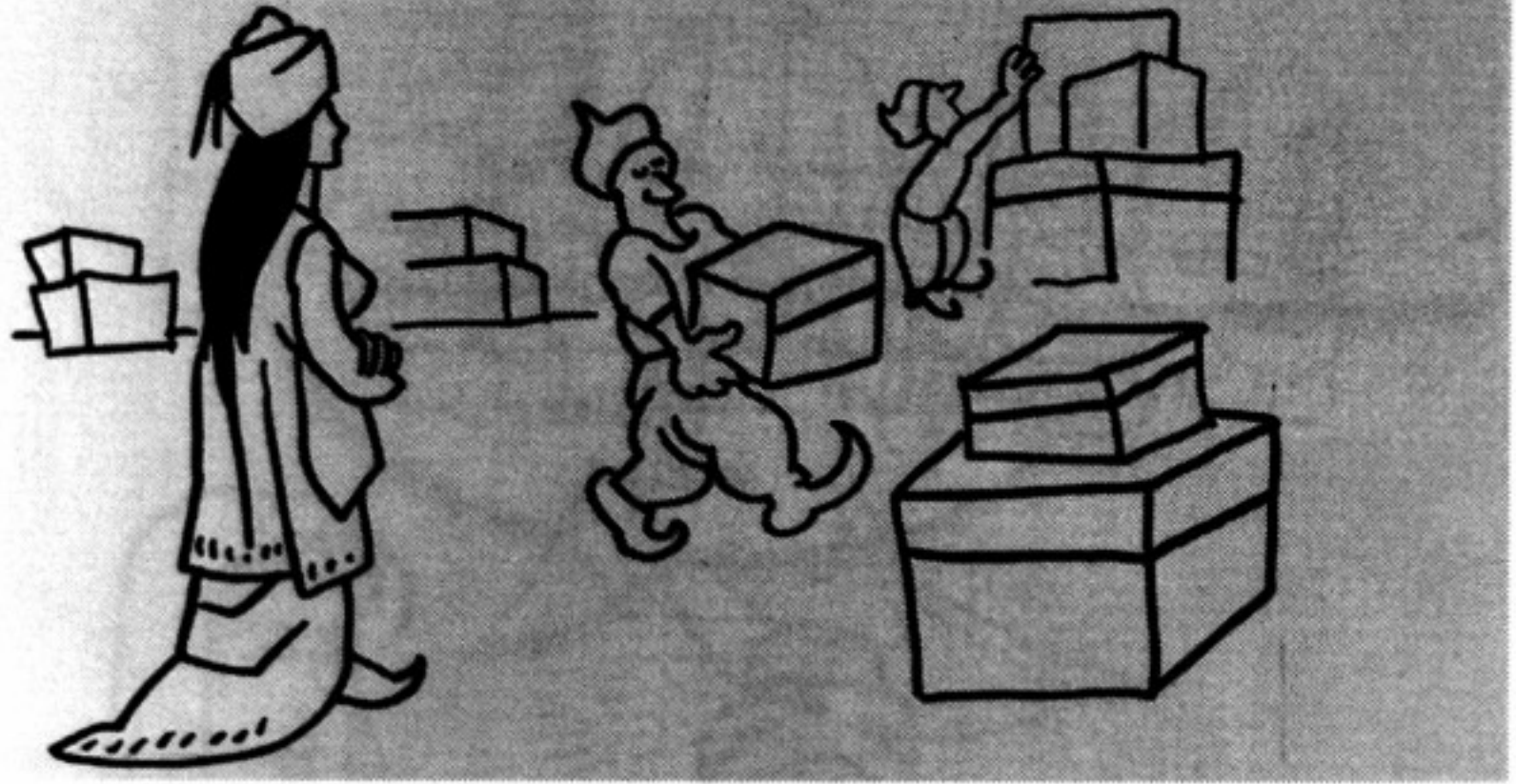
وورش حرفية

وضمت الأدوار العليا منها غرفاً لنزول التجار المسافرين
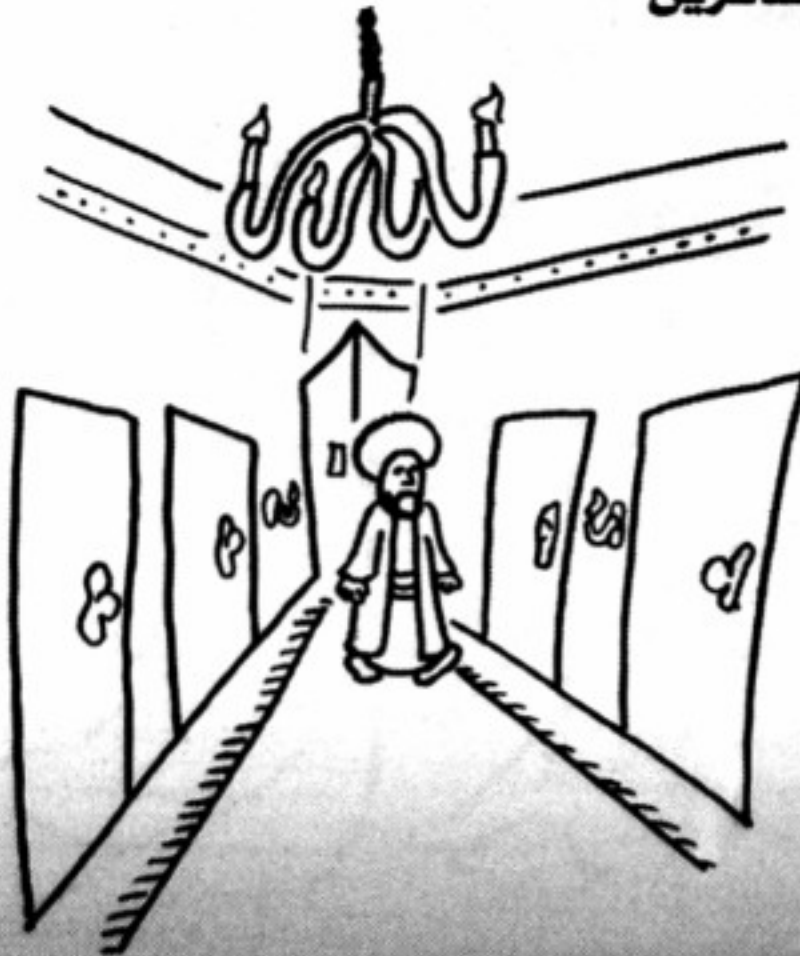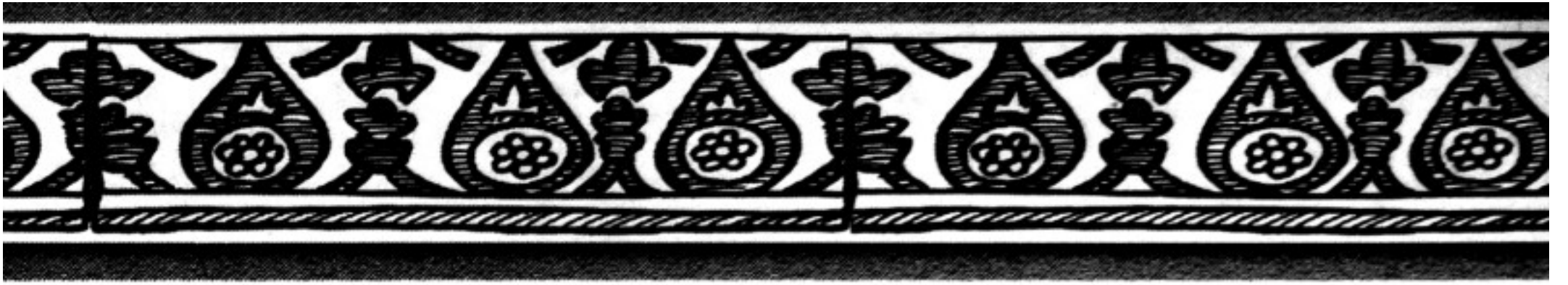
ومن الوقفيات التي تظهر تنوع أملاك النساء..

وقف زينب خاتون، معتوقة الأمير "اسماعيل بك الكبير القزدوغلي" ثلاث وكالات، إحداهما في خط الغورية، وحوش، و"مكان" في خط الناصرية، وفرن، وحصة عبارة عن ربع في محل في خط الغورية، وقهوة في خط الداوودية، وثلاثة "أمكنة" (والمكان هو دار أو بيت للسكن) ومحلين في خط قوسون.

وكانت كل هذه الديار تقع في أحياء سكنية راقية في هذا الزمن يسكنها علية القوم.

و نصت عدة وقفيات وضعها رجال ونساء على سيدات كنظار للوقف مثلما فعلت نفيسة خانوم ابنة والي دمشق عام ١٧٧٦

اكتب في الوقفية أن نفيسة خانوم "اللي هي أنا!" هي ناظرة للوقف ويتبعها ابنها من بعدها ثم ذرية ابنها من بعده، بنين أو بنات وهكذا حتى ينتهي النسل ثم يؤول الوقف للدولة ممثلة في الوالي

وكانت هناك نماذج أخرى.. زينب بنت القاضي عبد الرحمن الجويني، وكانت سيدة ثرية امتلكت عقارات ودوراً متنوعة وطبقا للجبرتي فأنها قامت بعمل يعتبر فريدا..

زليخة خاتون بنت عبد الله البيضا

ونص وقف زليخة على امرأتين من ضمن المستفيدين من الوقف هما مدينة بنت عبد الله الحبشي، معتوقة زليخة نفسها، وزبيبة بنت محمد كاشف الذي كان سيد زليخة. وهذا يشير إلى استخدام الوقف للإبقاء على الثروة في محيط بيت واحد. فالوقف كان وسيلة لربط أفراد مختلفين ببعض يجمعهم رباط مؤسسة واحدة. فكثير من الأغنياء المرتبطين بخادميهم وجواريهم كانوا حتى بعد عتقهم يضمنن لهم المعيشة الشريفة وتكافلا اجتماعياً عن طريق تخصيص مرتبات لهم من أوقاف. فالرباط الاجتماعي كان يستمر طويلا حتى بعد العتق أو وفاة السيد.

ارتبطت الحركة الثقافية في البلاد العربية والإسلامية في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث ارتباطا وثيقا بالأوقاف إذ قامت الأوقاف بتمويل:

الجوامع

والمدارس التي يدرس فيها الطلاب.

لم يكن هناك في العصور الإسلامية الأولى والوسطى ديوان رسمي للتعليم كوزارات التعليم الآن مثلا، ولم ينشأ ديوان للمدارس فى مصر حتى عصر محمد على. لذا كانت المدارس التي مولتها الأوقاف هى مؤسسات التعليم العالي الأكثر أهمية واستطاع العلماء فى هذا الوقت أن يصبحوا نظاراً للأوقاف. وبالرغم من ضرورة الالتزام بالشروط التى وضعها مؤسس الوقف، إلا أنهم استطاعوا التحايل على هذه الشروط حسب متغيرات العصر والأوضاع الاقتصادية، وأصبح لديهم سلطة التصرف فى نسبة كبيرة من المؤسسات الاقتصادية لمجتمعاتهم. وتلك السلطة سمحت للكثير منهم بتكوين ثروات هائلة كما اعطتهم جاهاً وسلطة فى المجتمع وفى مواجهة الحكام أحياناً.

كانت الوقفيات المختصة بالمدارس تتضمن تفاصيل دقيقة جدا جدا...
شملت مناهج الدراسة في المدارس وأسلوب العمل بها

وأيضا حددت عدد الدارسين أنفسهم، وخصصت لهم دخولا شهرية، ووجبات يومية وملابس موسمية.
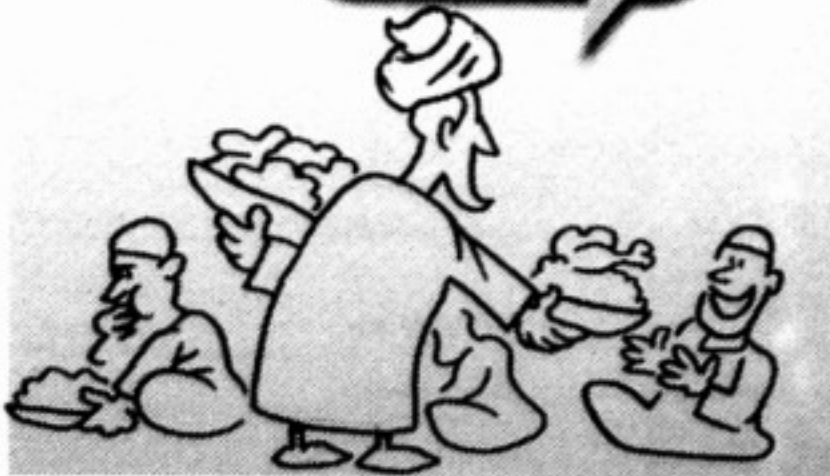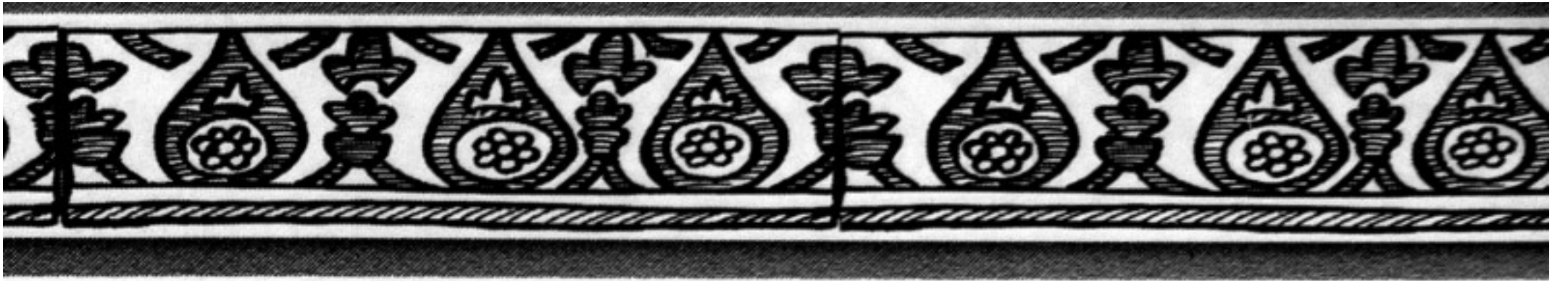
شرع محمد علي في وضع اللبنات الأولى للتعليم الرسمي، مما وضع التعليم تحت السيطرة الحكومية الشاملة بعد أن كان على مر التاريخ الإسلامي جهداً أهلياً بالدرجة الأولى. وكان اهتمام محمد علي بالتعليم هو جزء من خططه لتقوية الجيش المصري وبناء مملكة متكاملة في إطار الدولة العثمانية. فالمدارس الجديدة التي أنشأها كانت تخرج طلابا ينضم بعضهم للجيش وينضم البعض الآخر لوظائف البيروقراطية الجديدة التي تطلبها مشروعه التحديثي من مهندسين وأطباء ومختلف التخصصات.
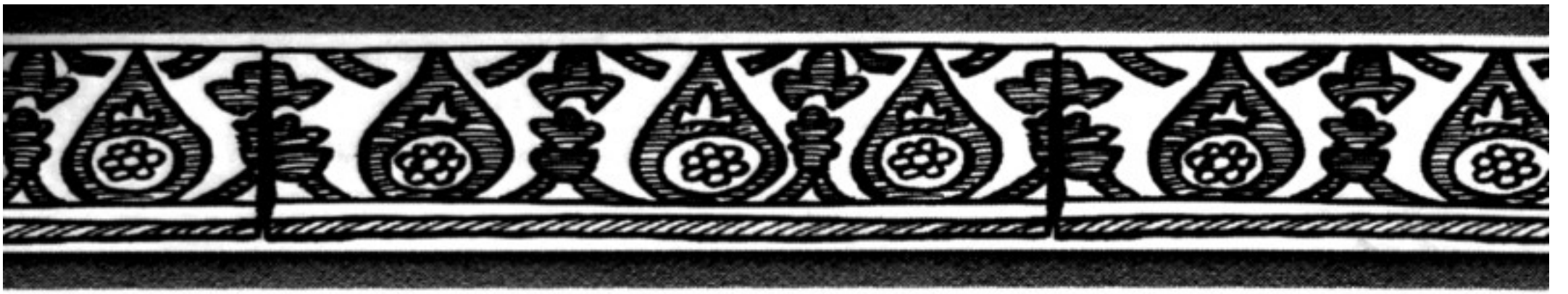
ومن أهم المؤسسات الثقافية التي ارتبطت ارتباطا كبيراً أيضاً بالوقف: "الكتّاب".

إذ كان يقوم بتعليم الصغار وبخاصة فقراء وأيتام المسلمين.. القرآن الكريم.. ومبادىء القراءة والكتابة والحساب.. وكانت أوقاف الكتاتيب توفر لهم أيضاً وجبات الطعام والملابس.

وفى بداية العصور الإسلامية كانت الكتاتيب تعقد داخل المساجد ولكن مع التطور وانتشار التعليم نسبياً ظهرت الكتاتيب كمؤسسات مستقلة خاصة فى القرن الخامس عشر.

ثم جاءت مرحلة ألحقت فيها الكتاتيب بالأسبلة وكانت عادة تحتل الدور العلوى من المبنى.

سبيل كتّاب
رقيه دودو
(١٧٩١)

سبيل كتاب
قايتباى
بالنحاسين

• الأزهر.. والأوقاف.. علاقة بامتداد التاريخ!

كان الجامع الأزهر هو أول مسجد أسس بمدينة القاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي قائد جيوش الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، شرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ وانتهى العمل فيه سنة ٣٦١هـ .

وقد أوقف الخليفه الفاطمي الحاكم بأمر الله رباعاً على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ومؤسسة دار العلم بالقاهرة، وينقل المورخ المصرى تقي الدين المقريزي نص الوقفية التي شملت تفاصيل مدهشه .

«نصت الوقفية على مرتب للخطيب، ومبلغ للحصر، وآخر للزجاج، وللبخور الهندى فى شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة للصانع وشمع ومرتبات لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وأجرة الخياطة وثمن مشاقة لسرج القناديل، وفحم للبخور وخرقاً لمسح القناديل وقفاف للخدمة وقنب لتعليق القناديل ومائتي مكنسة لكنس هذا الجامع وأزيار فخار تنصب على المصنع ويصب فيها الماء مع أجرة حملها، وزيت وقود هذا الجامع مع أجرة حمله ومرتبات لثلاثة أئمه وأربعة قومة وخمسة عشر موذناً» .

الجامع الأزهر
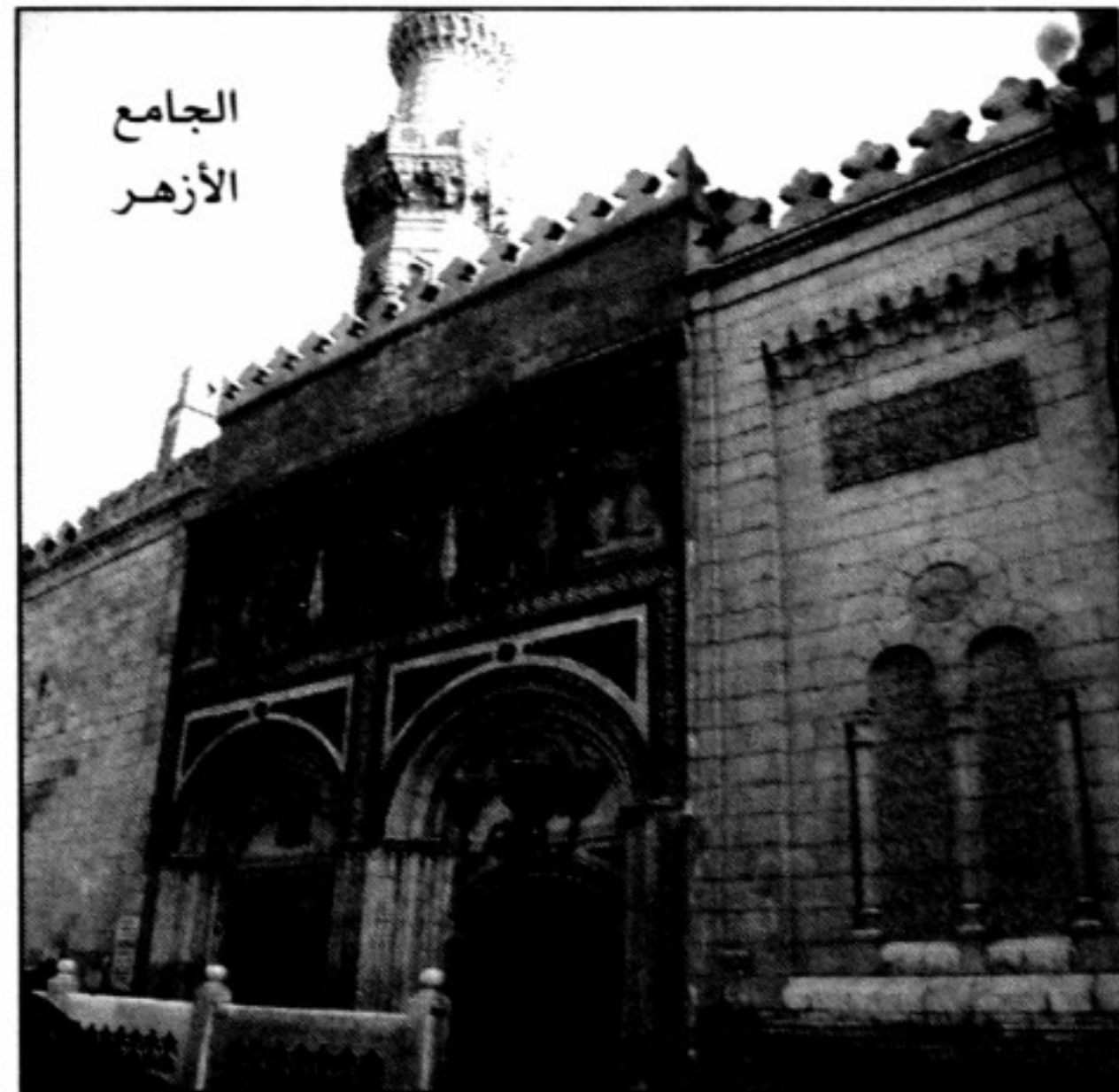
وقد حظى الأزهر بوقفيات كثيرة على مر العصور خصص الواقفون بعضها لجوانب محددة من رسالته.

بعضها خصص للفقراء المقيمين في الأروقة وهي الأماكن التي كان يقيم فيها طلبة العلم.
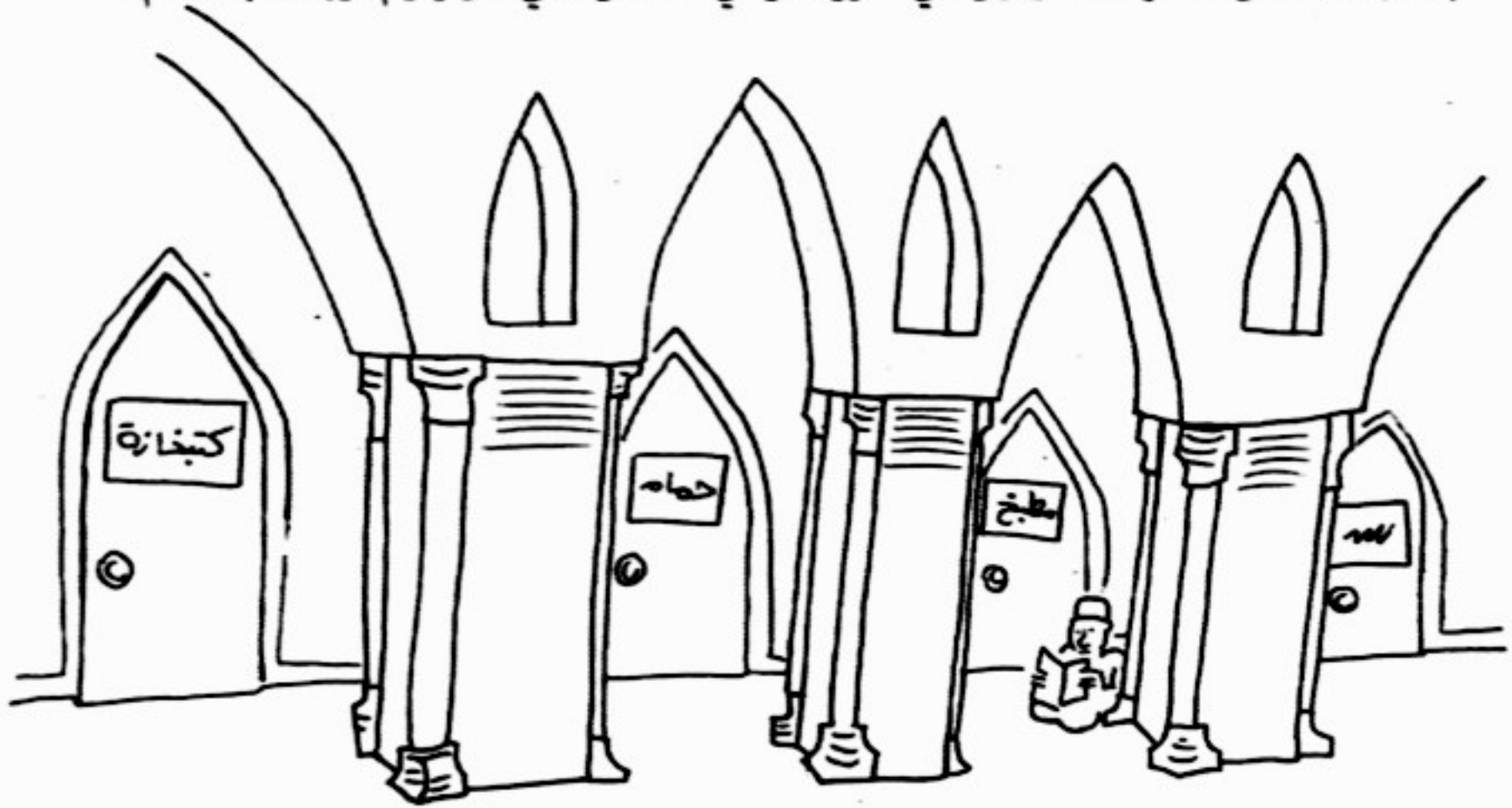
ويمكن أن نعتبر الرواق هو مرحلة سابقة لتطور منظور الكليات الحديثة.

وتنوع الوقفيات يدل على أن الأزهر كان فعلاً مركز جذب لطلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.. فهناك وقفيات خصصت لـ:
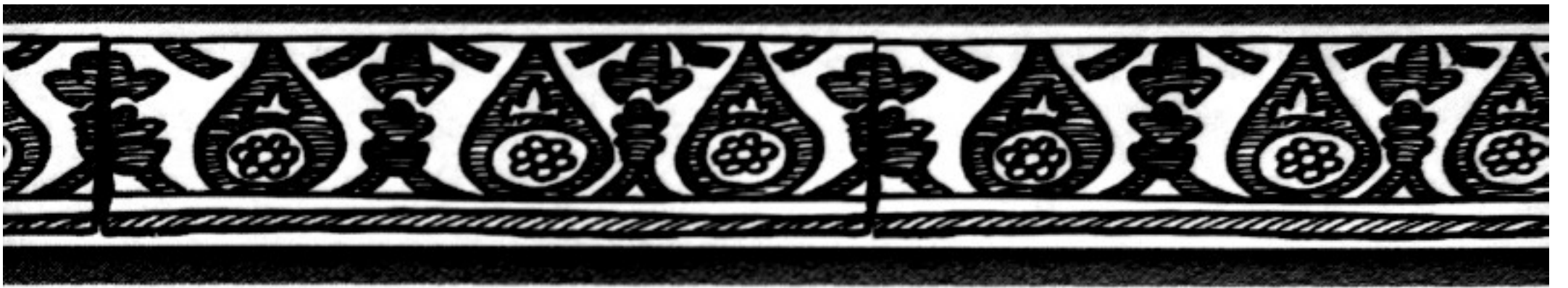
ولم يتوقف الأمر على هذا..

إذ كانت هناك أوقاف أخرى خصت فئات معينة من العاملين في الأزهر كالوعاظ أو الحفاظ أو المدرسين مثلا. وأوقاف أخرى حددت أوجه الصرف كأن يوقف أحد على كساوي العلماء، أو مرتبات وخبز لهم. وخصصت أوقاف لتعليم اللغتين التركية والفارسية مما يدل على اتساع نطاق التعليم داخل الأزهر فلم يكن مقصوراً فقط على العلوم الدينية بل تضمن اللغات أيضاً والتاريخ الإسلامي.
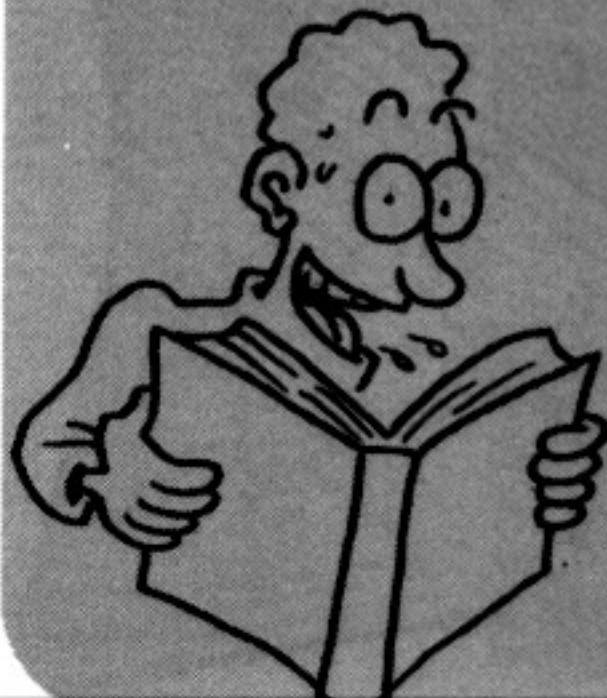
المكتبات العامة..لولا الأوقاف.. ما كانت!

حقيقة تاريخية ومؤكدة ١٠٠٪.
فالأوقاف هي التي نشرت فكرة المكتبة العامة لدى المجتمع الإسلامي.. والمجتمع المصري على وجه الخصوص..
في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، أوقف كثير من الناس خاصة العلماء، مكتباتهم الخاصة على طلبة العلم.

وكان لتلك الأوقاف دور كبير في فترات مثل القرنين السابع عشر والثامن عشر مع الغلو النسبي لسعر الورق والكتب، فوفرت تلك المكتبات الموقوفة فرصة لطلبة العلم لمطالعة الكتب.

مكتبة الجامع الأزهر

ومكتبة الجامع الأزهر هي واحدة من أشهر المكتبات التاريخية وتمتاز بوفرة الكتب في العلوم الدينية والعربية وحفظت هذه المكتبة جزءاً كبيراً من تراثنا الثقافي والعلمي من الضياع وكان هذا بأكثر من طريقة..
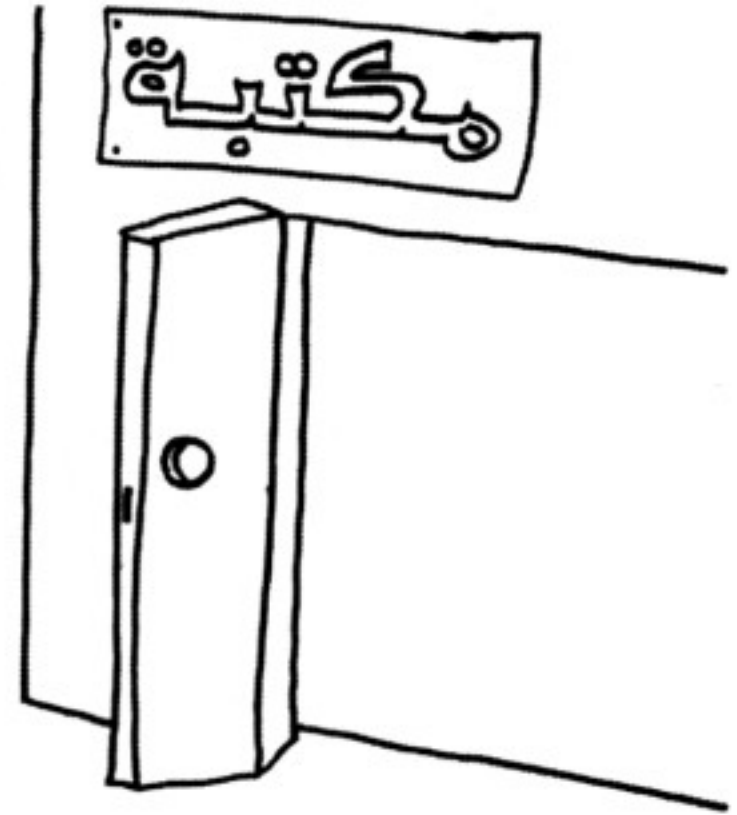
قام بعض الواقفين من أهل الخير بتخصيص ريع بعض أوقافهم لشراء الكتب لصالح هذه المكتبة

بينما قام بعض العلماء بوقف مؤلفاتهم الخطية المكتوبة بأقلامهم وأقلام تلاميذهم على منفعة المسلمين والمتعلمين.

تضم مجموعة كتب الأزهر مكتبات خاصة كثيرة مثل:
مكتبة سليمان باشا أباظة التي أهداها ورثته إلى الأزهر سنة ١٨٨٩ عملا بمشورة الإمام محمد عبده، و تتضمن مؤلفات في التاريخ والأدب وتمتاز بكثرة المخطوطات.

مكتبة حليم باشا وقد وزعت بين مكتبة الأزهر ووزارة المعارف سنة ١٩١٢ وخص المكتبة الأزهرية منها ٢٨٥٧ مجلداً معظمها في فنون القراءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاريخ.

بالإضافة إلى مكتبات الشيوخ عبد القادر الرافعي مفتي الديار، محمد بخيت المطيعي مفتي الديار، والشيخ الانبابي شيخ الأزهر، الشيخ العروسي شيخ الأزهر، الشيخ إمام السقا وأخيه الشيخ عبد العظيم السقا، الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر، وغيرهم.

الشيخ الانبابي وقف مكتبته على طلبة العلم وجعل مقرها في منزله بالظاهر وجعل لها مشرفا بمرتب مما وقفه من ماله على جهات البر وقد خشيت عليها وزارة الأوقاف فاهدتها للأزهر.

أما الشيخ بخيت المطيعي فقد وقف مكتبته بخزائنها في حياته على مكتبة الأزهر ونفذ ورثته رغبته عام ١٩٣٨.

دار الكتب المصرية

وقد أنشئت دار الكتب أولا باسم الكتبخانه الخديوية
فى عهد خديوي مصر إسماعيل باشا.

مع نمو الدار وازدياد حاجتها للمال كان الوقف هو أنسب وسيلة لضمان ذلك في ظل ظروف سيطرة الاحتلال البريطاني على ميزانية الدولة. وبالفعل قام الخديوي توفيق بوقف مساحة قدرها ١٨٠٦ فدانا على الدار.
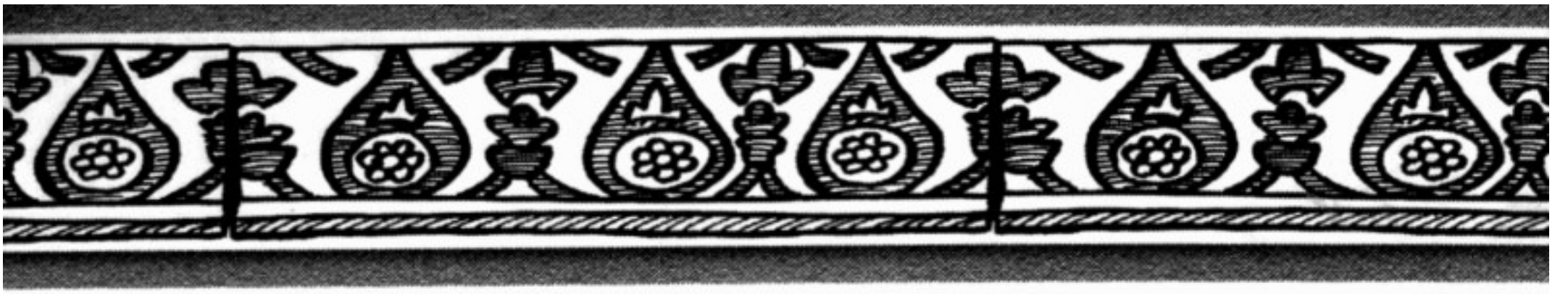
دار الكتب قديما

مبنى دار الكتب المصرية .. الهيئة العامة للكتاب بكورنيش النيل ـ رملة بولاق

الوقف والتعليم فى العصر الحديث

في أواخر القرن الـ١٩ الذي شهد الاحتلال البريطاني لمصر كانت الأوقاف سلاحا قويا للمصريين..

لذا استخدموا الأوقاف كسلاح ضد الاحتلال لنشر التعليم في ذات الوقت..
وكانت الأوقاف التعليمية التي أسسها أفراد من العائلة الحاكمة وكبار الملاك الزراعيين في القاهرة والمحافظات تتضمن بالإضافة إلى مصروفات المدارس.

- **ملابس للتلاميذ**

- **أدوات مكتبية**

- **وجبات لتغذيتهم**

- **إعانات نقدية**
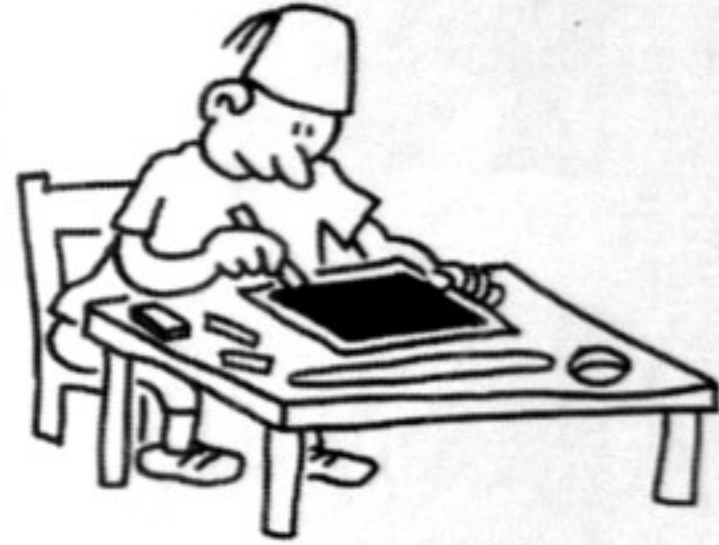
وكان من أشهر الأوقاف التعليمية في القرن الـ٢٠ وقف الأميرة فاطمة بنت الخديوي إسماعيل، الذى تم تأسيسه سنة ١٩١٠م والذى خصص ريع ١٨٤ فداناً أوقفوا على مدرسة البرنسيسة فاطمة بالمنصورة. وكانت المدرسة تتسع لمائة وعشرين تلميذ وتلميذة من فقراء المسلمين.. وتضمنت الوقفية الكثير من التفاصيل....
إذ تنص الوقفية على تفاصيل الزى المدرسى الكامل..

زي الذكور يشتمل على ..

بنطلون، و زكتة "وليس جاكتة" وصديري من الجوخ الوسط وطربوش وقميص ولباس بفتة وجزمة وشراب و ياقة ورباط ياقة..

أما زي البنات فكان..

يتضمن فستان من الحرير الوسط وقميص من البفتا الشاش، ولباس من القماش الدوبلان وجزمة وشراب

كما نص الوقف أيضا على مبلغ عشرين جنيها مساعدة لمن تتزوج من التلميذات لتكمل به ما تحتاج لجهازها..

ولم تشجع سلطات الاحتلال تعليم البنات، إلا أن الواقفين اهتموا بصفة خاصة بذلك، وكانت "دلبرون هانم شكري" خير مثال على ذلك.

ونصت الوقفية على المناهج التي تدرس بالمدرسة من علوم تقليدية مثل القراءة والكتابة إضافة إلى حفظ ما تيسر من القرآن الكريم كما أشارت الوقفية إلى تدريس مواد مختلفة أخرى مثل..

- **الخياطة...**

- **الطبخ..**

وقف مدرسة الفنون الجميلة

كانت الأوقاف وراء ظهور العديد من المؤسسات التعليمية الحديثة القائمة إلى وقتنا هذا. ومن أشهر هذه المؤسسات "مدرسة الفنون الجميلة" التي يمكن اعتبار كلية الفنون الجميلة الموجودة حاليا امتدادا لها..

• في عام ١٩٠٨..

• وفي عام ١٩٠٩..

لقد قررت أن أوقف ١٢٧ فداناً من أراضي المنيا وكام عقار من بتوع الإسكندرية على المدرسة.. عاوز المدرسة تعلم ١٥٠ طالب كل سنة، بحيث يكون الثلثين من المصريين والثلث الآخر من الأجانب.. وكلهم يتعلموا فنون العمارة والرسومات والزخارف ببلاش..

• وفي عام ١٩٢٧..

هاعمل تعديلات على الوقفية، وهنخصص جزء من الريع لإرسال بعثات علمية إلى أوروبا ليتعلم الطلبة الفنون في إيطاليا وفرنسا.. يابختهم!

وكانت هذه المدرسة نواة لتكوين جيل من الفنانين المصريين أسسوا المدرسة الفنية الحديثة. وكان أشهر هؤلاء النحات محمود مختار.
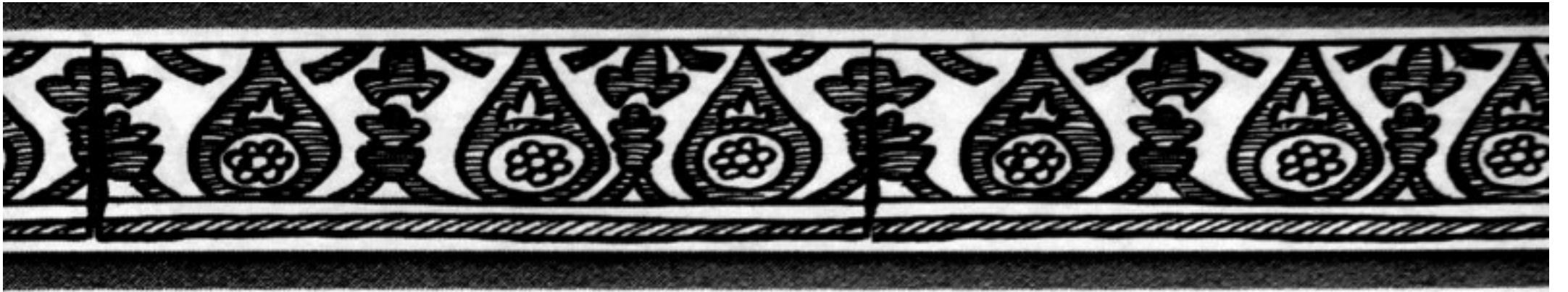
الوقف وجامعة القاهرة
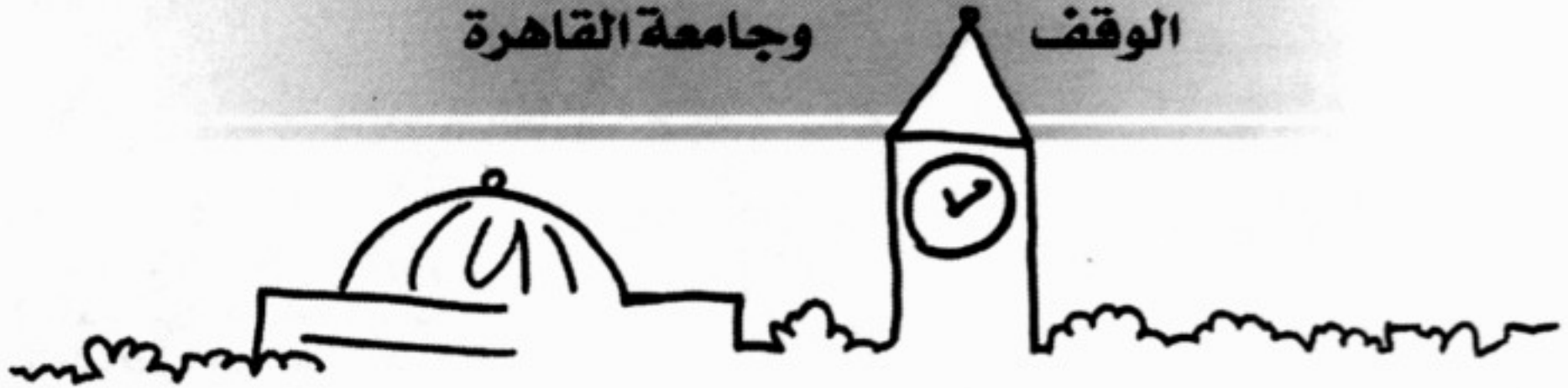
كان مشروع تأسيس الجامعة أحد مظاهر التعبير عن حيوية المجتمع وجهوده الأهلية وحركته الوطنية في التصدي لسياسة الإنجليز، التي قامت على أساس الحد من انتشار التعليم وتخفيض عدد البعثات العلمية إلى الخارج. ورغم أن فكرة الجامعة اجتذبت عدداً من كبار الملاك إلا أن المشكلة الأكبر كانت في توفير الموارد المالية اللازمة، وفي عام ١٩٠٦ ظهر المنقذ.. "مصطفى بك كامل الغمراوي".

وبالفعل كانت جدعنة المصريين حاضرة، وتوالت التبرعات والوقفيات لصالح الجامعة إلا أن وقف الأميرة فاطمة كان أكبرها على الإطلاق.

وتوالت الأوقاف على جامعة القاهرة. ومن أهم هذه الأوقاف وقفية الأمير "يوسف كمال" الذي أوقف ١٢٥ فدان على الجامعة مباشرة. إلا أن التبرعات للجامعة ارتبطت بكونها مؤسسة أهلية ومنذ تحولت إلى مؤسسة حكومية تابعة لوزارة المعارف عام ١٩٢٥ لم تظهر وقفيات جديدة عليها سوى بعض الحالات النادرة، منها حالة واحدة فقط قبل ثورة ١٩٥٢ وهي لـ"محمد توفيق نسيم" عام ١٩٣٤.

وبعد عام ١٩٥٢ كانت هناك وقفيتان لصالح الجامعة..

وقفية محمد عبد الله حسن سنة ١٩٧٦

ووقفية المستشار محمد شوقي الفنجري ١٩٩١

"مساعدات اجتماعية للطلبة المحتاجين بكليات الحقوق والآداب ودار العلوم".

وحاليا توجد عدة منح شبيهة بالوقف من حيث أنها تتضمن مبلغ مؤسس، عادة ما يوضع في صورة وديعة بنكية تصرف أرباحها على هدف خيري محدد، بينما يترك الأصل كاملا دون التصرف فيه. ومن هذه الأمثلة المنح التي تمنحها مؤسسة ساويرس لطلبة الدراسات العليا من المصريين للحصول على شهادات عليا من الخارج. كذلك توجد منح شبيهة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تصرف للطلبة المتفوقين من المتخرجين كل عام.
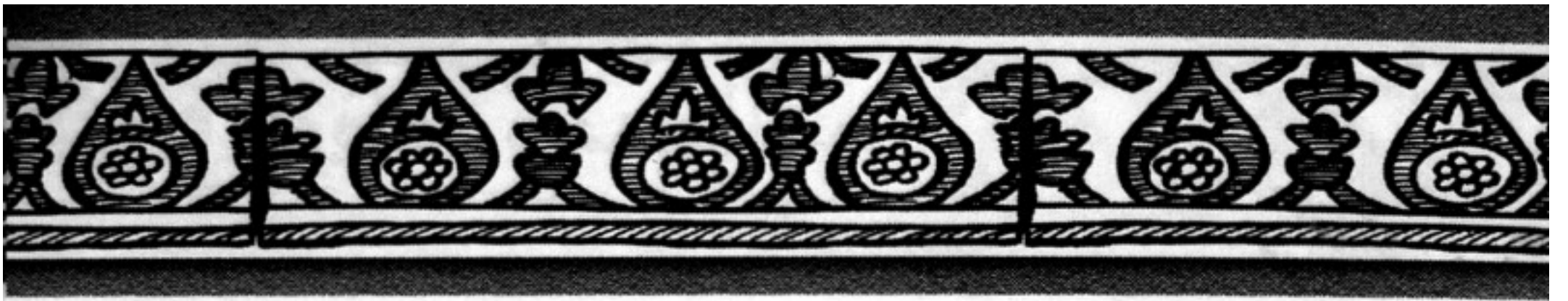
جامعة القاهرة الآن

كان عمل الخير هدفا رئيسيا من وراء تأسيس الأوقاف وانتشارها، وارتبط ذلك بالطبقات العليا من المجتمعات العربية والإسلامية رجالا ونساء ومن أشهر الأوقاف الإسلامية الخيرية النسائية...

وقف زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وكان وقفا فريدا من نوعه..

لقد قررت أن أمهد طريق الحجاج من جنوب العراق إلى مكة والمدينة

بارك الله فيك

وقد اشتهر هذا الطريق بـ"طريق زبيدة"
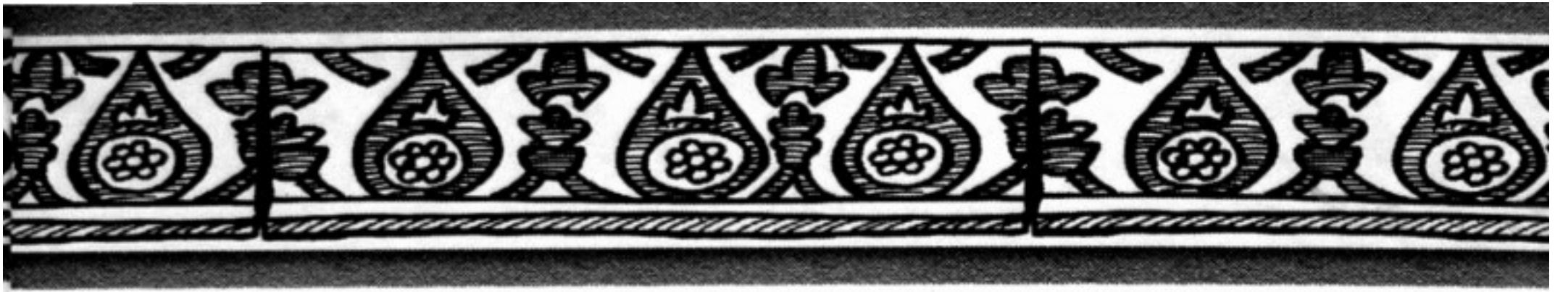
ويعتبر وقف خرم خاصكي زوجة السلطان العثماني سليمان القانونى واحداً من أكبر وأشهر الأوقاف الإسلامية على مر العصور إذ كان يمتد من..

- **اسطنبول** ويشمل مسجدين ودارين ومدرستين ومستشفى وحمامين ومطبخ
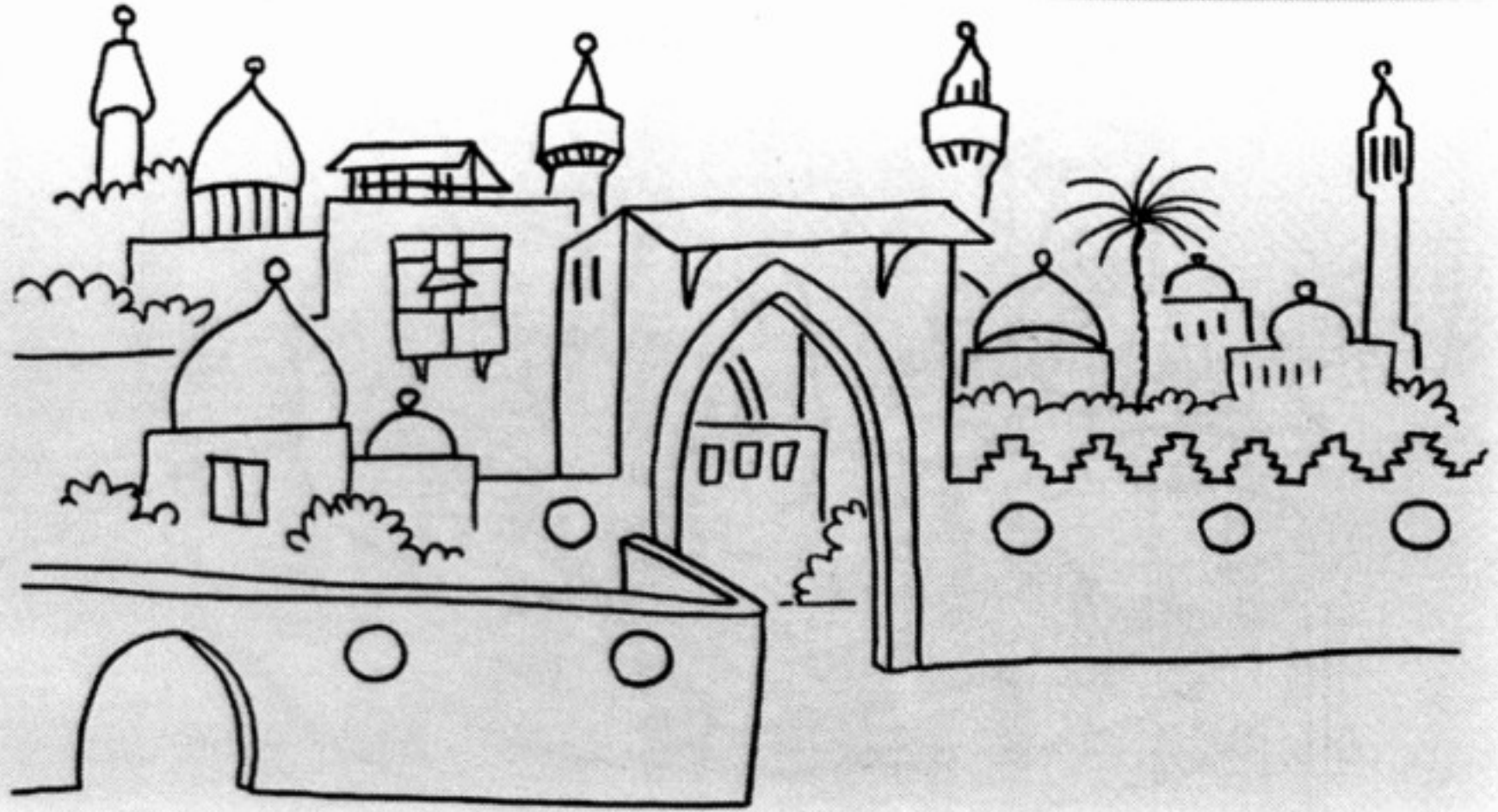
- **إلى مكة** وكان الوقف عبارة عن مطبخ كبير ضخم به ٥٥ بابا بجوار المسجد الحرام.
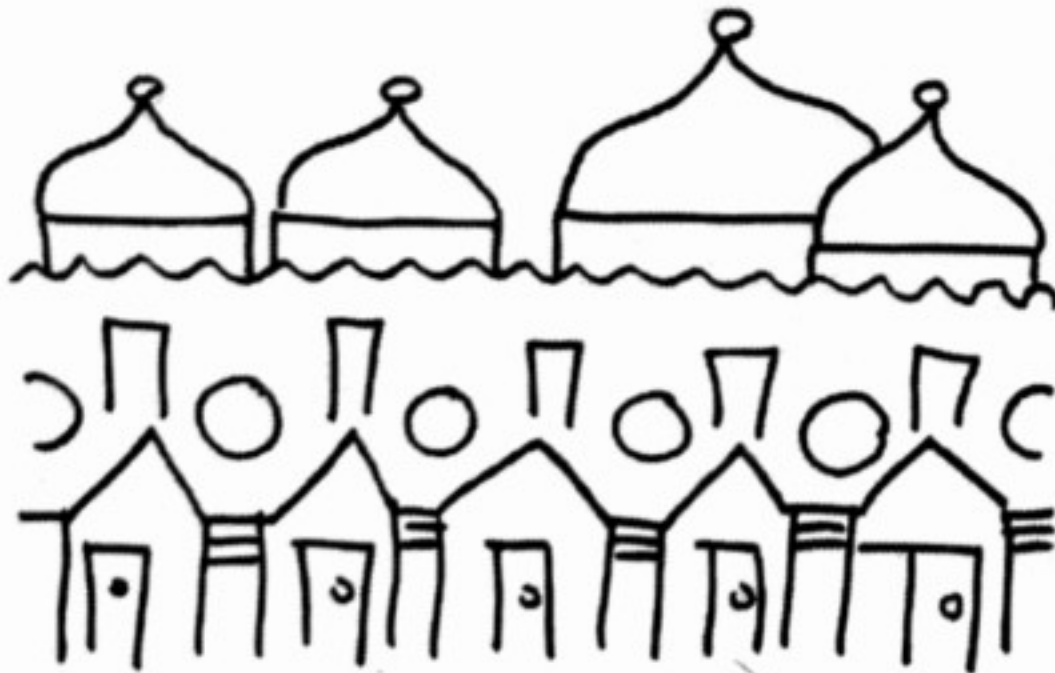
ولم يكن الوقف مقصورا على الفقراء فحسب...

وشمل غذاء للجياد أيضا..
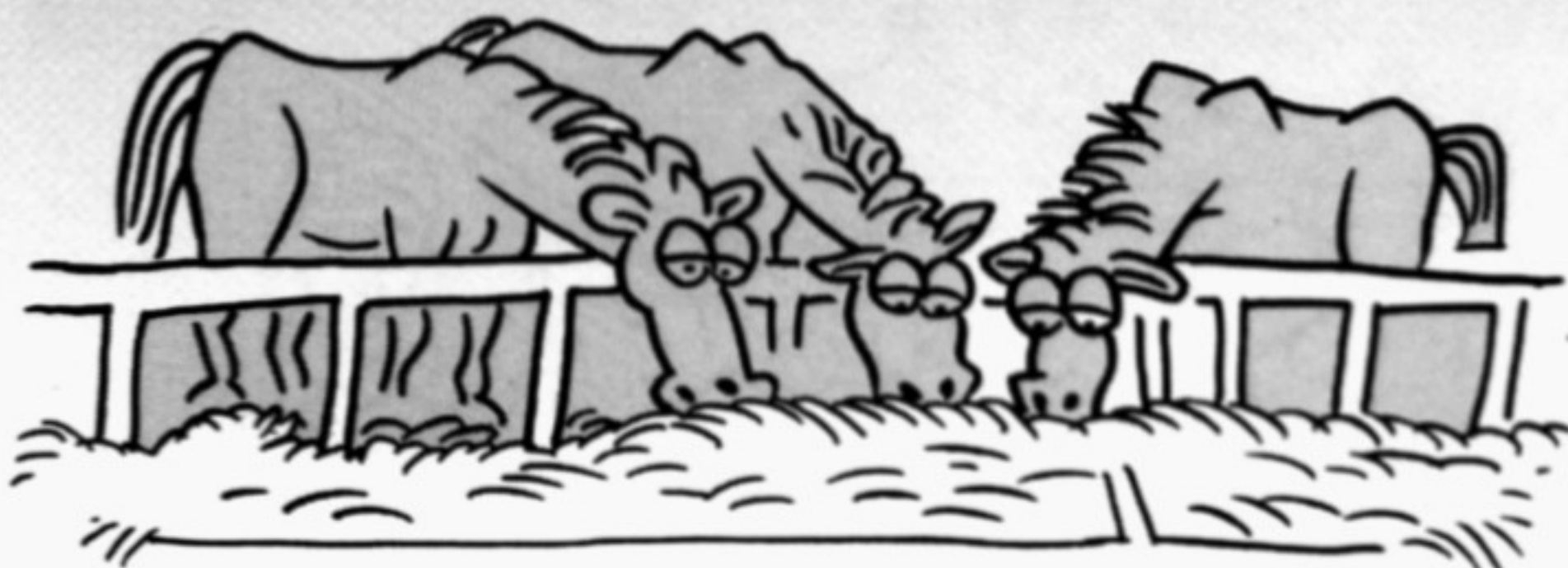
لكنها أشترطت أن يقوم كل من يدخل هذا المبنى بما يلي:

• ووصل الوقف إلى القدس

وعرف بـ "خاصكي سلطان" و هو أكبر وقف عثماني في فلسطين وكان يتكون من عدة مباني..

في العصور ما قبل الحديثة كانت هناك أوقاف كثيرة مخصصة على المساجد والزوايا والاربطة والتكايا. كما قام بعض أعضاء الأسر الحاكمة بإنشاء أضرحة لهم في حياتهم خصصوا لها أوقافا معينة وكانت الأضرحة تضم أحيانا مدرسة أو كتاب.

وكانت فكرة تأسيس مسجد صغير في الحي مثلا، يتبعه ضريح، أو مدرسة أو سبيل ومن فوقه كتاب منتشرة جدا في هذه الفترة.
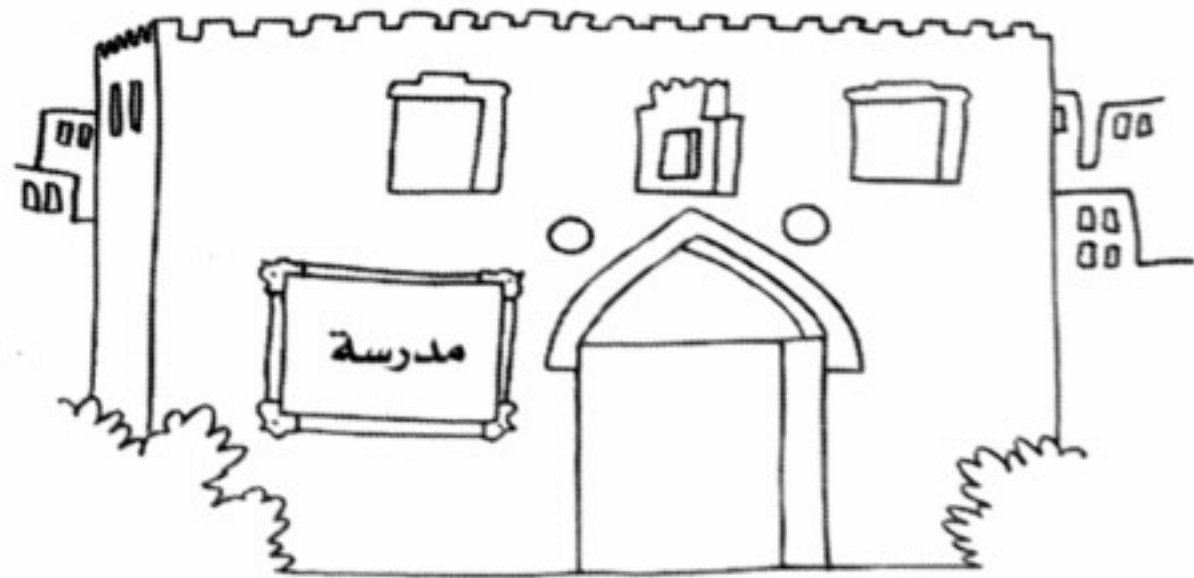
ومن أوائل الأوقاف الإسلامية في مصر كان **جامع عمرو بن العاص**
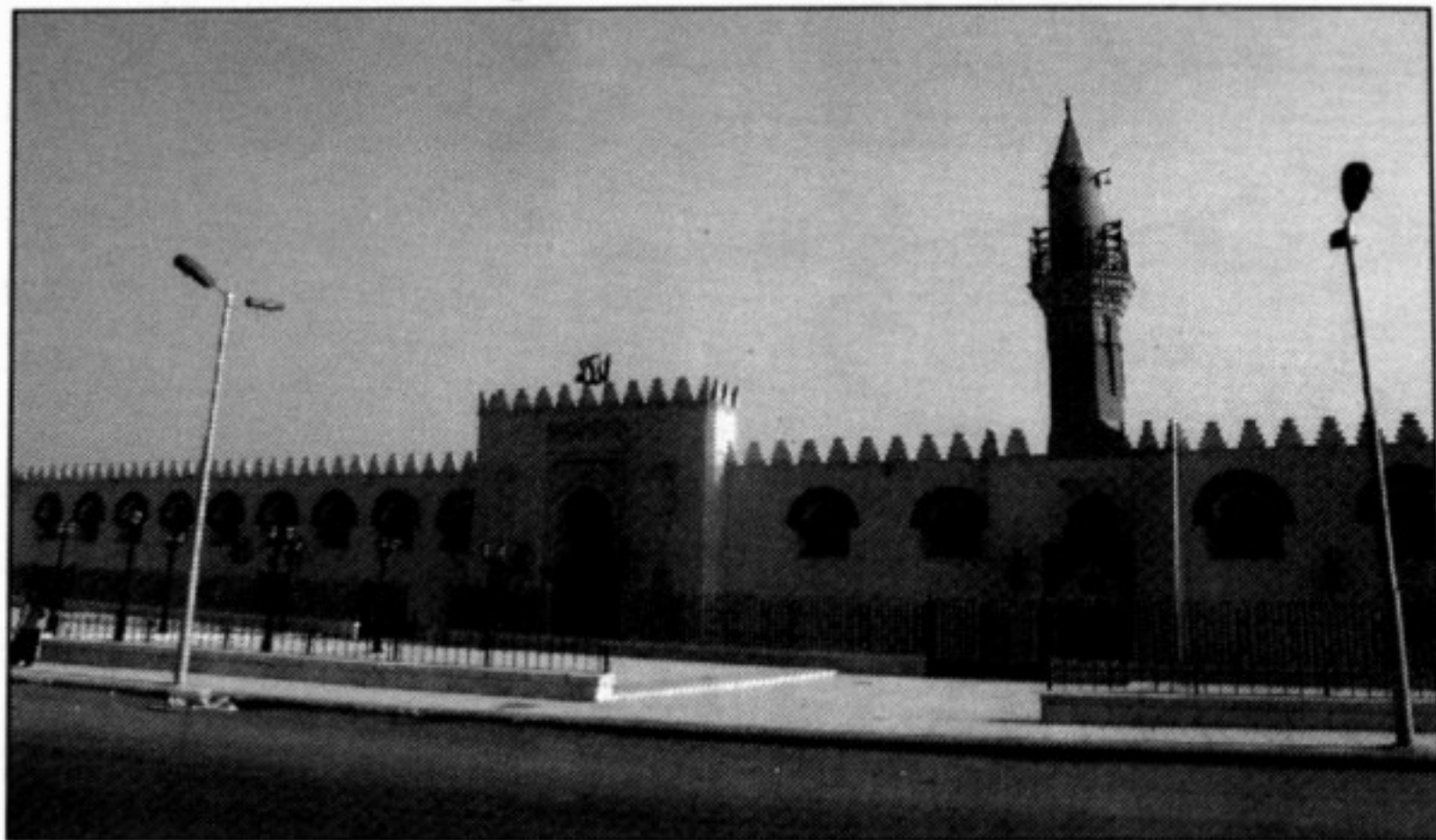
وهو أهم جامع في الفسطاط، تبرع بأرضه التي بني عليها "قيسبه بن كلثوم التحبيبي"، وهو من المسلمين الأوائل الذين شهدوا فتح مصر. وقد طلب منه "عمرو بن العاص" أن يجعل المسكن الذي يقيم فيه هو وأسرته مسجدا، فلم يرفض له طلبا.
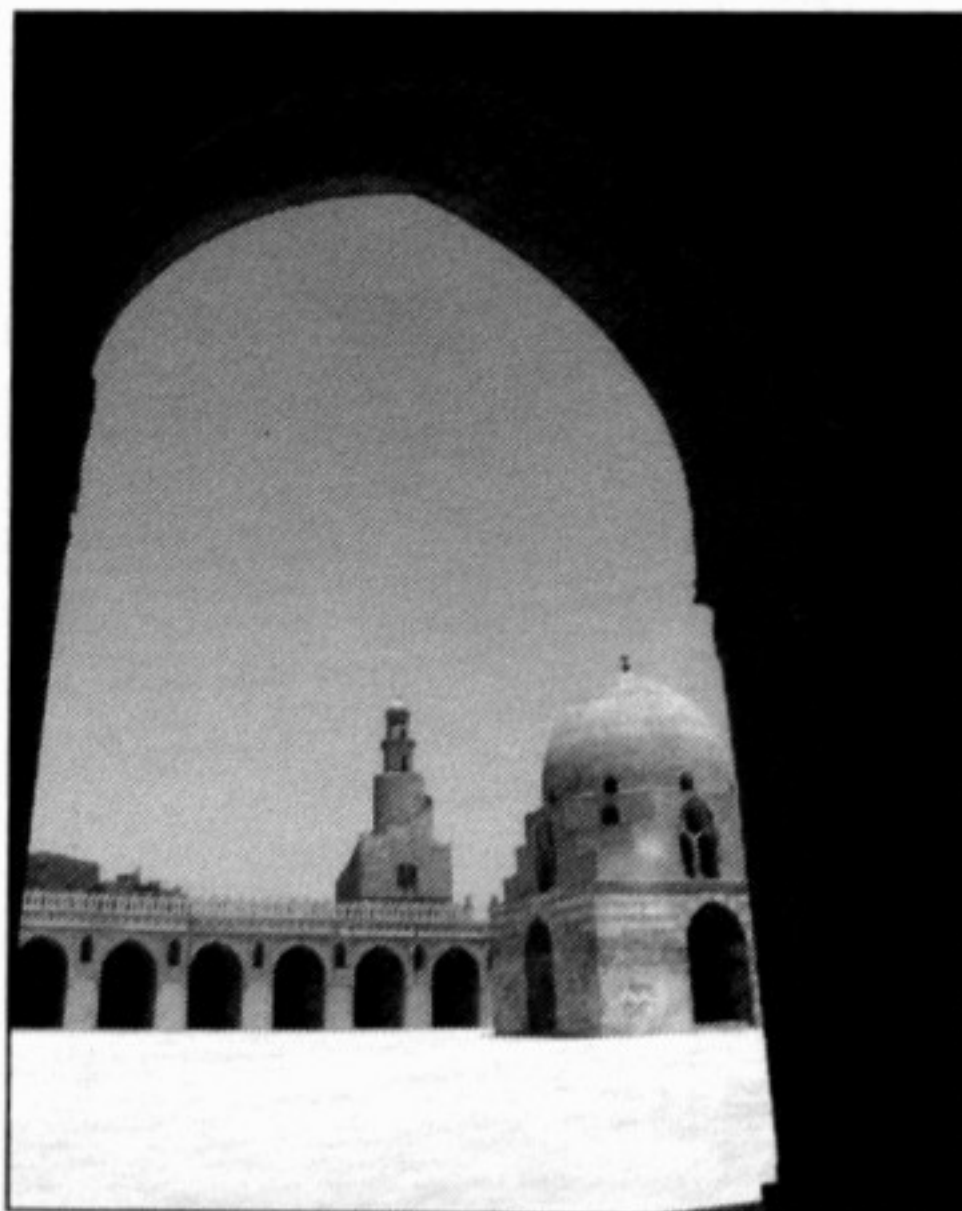
وجامع أحمد بن طولون

من أوائل وأشهر الأوقاف فى مصر وقف ابن طولون الذى أشتمل على جامعه الشهير الكائن حتى اليوم.

الطرق الصوفية

يختلف الكثيرون في الوصول لتعريف واحد لـ"التصوف"، إلا أن الشيء الذي تم الاتفاق عليه بين كل الباحثين هو أن المتصوف يشرع في رحلات روحية ووجدانية يهدف بها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

والتصوف قديم قدم الإسلام، وكون بعض مشايخ الصوفية فرقاً ضمت أتباعهم عرف كل منها باسم "الطريقة". فتنسب "الطريقة" إلى الشيخ الذي أسسها.. مثل الطريقة الشاذلية نسبة للشيخ حسن الشاذلي المدفون في جبال البحر الأحمر.

وكثير من كبار علماء المسلمين كانوا أيضا متصوفة بحيث لم يتعارض العلم الفقهي مع التصوف بالضرورة، بل إنه في العصور الوسطى والعصر العثماني كان غالبية العلماء ينتمون إلى أحد الطرق الصوفية، بل وانتمى بعضهم إلى أكثر من طريقة في نفس الوقت.

وكانت مؤسسات الطرق الصوفية، من الزاوية، أو الرباط، أو التكية من أكثر المؤسسات الدينية التي أوقف عليها الناس أملاكهم في العصور الوسطى.
وكانت هذه الأوقاف تمول مؤسسات الصوفية والمتصوفة أنفسهم فوفرت لهم في بعض الأحيان:

١- الملبس

٢- الطعام

٣- المسكن

ولم تكن الطرق الصوفية محدودة ببلد معين أو بحدود جغرافية معينة، ولذا انتشر أتباع الطرق في أنحاء العالم الإسلامي وأنشأوا زوايا وتكايا فرعية في أماكن مختلفة، ولهذا كان المسافر الصوفي يعلم أنه سيجد في طريقه مأوى له فساعد ذلك الكثيرين على أن يسافروا طلبا للعلم والتجارة وعلى نشر الدعوة الإسلامية .

وعرفت القاهرة أربطة خصصت للنساء بصفة خاصة منها رباط البغدادية، وبحسب المقريزي فإن من بنى هذا الرباط هي السيدة الجليلة "تذكار باي خاتون" ابنة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤ هـ للشيخة الصالحة والفقيهه الفاضلة زينب بنت أبو بكر المعروفة بزينب البغدادية. وكان الرباط ملجأ للنساء اللاتي كن بلا عائل أو مال، مثل الأرامل والمطلقات خاصة اللاتي كن في انتظار انقضاء فترة العدة وقد تميز هذا الرباط بشئ لافت.

إذ كان الشيخ الذي يعظ ويفقه النساء ليس سوى "الشيخة فاطمة بنت عباس البغدادية أم الشيخة زينب البغدادية".

ولم تكن الشيخة فاطمة وحدها في هذا الشأن فكان هناك أيضا "عائشة بنت على بن عبد الله بن عطية الرفاعي" المتوفية سنة ٨٣٧ هـ والتي أقامت رباطا في مكة وووقفت عليه دارا مطلا على المسجد الحرام وهي التي قامت بمشيخة هذا الرباط.

وإدارة النساء للرباط تثبت قدراتهن على القيام بأعمال متشابكة في وقت واحد مثل:

الأعمال الإدارية

وتعليم الفتيات والسيدات

وتدريس الدين

وساعد انتشار الخانقات والأربطة التابعة لأهل الصوفية، في نشر الإسلام بين غير المسلمين بطرق سلمية وسهلة ساعدت هذه الشعوب على التعرف على الإسلام وقربته من عاداتهم وتقاليدهم. فكان للصوفية دور مهم مثلا في نشر الإسلام في الأناضول خاصة بين الفلاحين، وذلك قبل اشتداد قوة الدولة العثمانية.

الأوقاف والرعاية الصحية

كانت البيمارستانات من أقدم المؤسسات في المدن الإسلامية التي قدمت الخدمات الصحية وارتبطت ارتباطا وثيقا بالوقف.. ومن أقدم وأكبر البيمارستانات.. البيمارستان العتيق أو الأعلى الذي أنشأه أحمد بن طولون ٢٥٩هـ/٨٧٣م، وأوقف عليه دوارًا وقيصارية وسوق الرقيق..

وكان البيمارستان يضم: عنابر للرجال وعنابر للنساء، ملحق بها حمامان للرجال، وحمام للنساء.

وهو ما يدل على أن المرضى من النساء في هذا العصر كن يعالجن في البيمارستانات أيضا وليس في المنزل فقط.

والمستشفى كان به نظام دقيق جدا... إذ فور أن يدخله المريض تخلع ثيابه فورا وتقدم له ثياب خاصة

ثم تقدم له الأدوية والغذاء مجانا إلى أن يتم شفاؤه..

عال عال.. كده أنت ممكن تطلع بكرة إن شاء الله

بكرة.. طيب هاكل فراخ فين بعد كده!

وكان ابن طولون يزور المستشفى مرة كل أسبوع..

نضف كويس وبضمير، النهاردة ميعاد زيارة ابن طولون
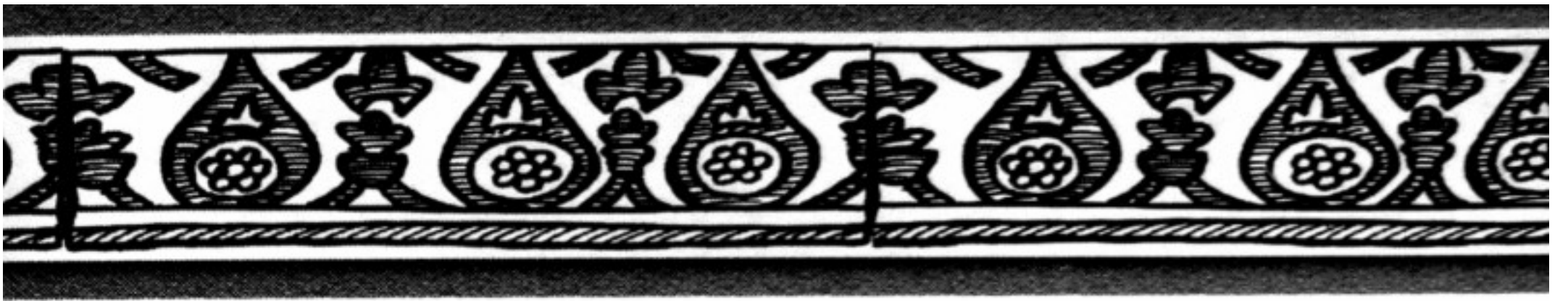
البيمارستان المنصوري

وهو أشهر البيمارستانات على الإطلاق في العصور الإسلامية، أنشأه السلطان "المنصور قلاوون الألفي الصالحي" وعرف باسم البيمارستان المنصوري، تم افتتاح البيمارستان عام ٦٨٣ هـ/١٢٨٤م وقد استمر في العمل بشكل ما حتى القرن التاسع عشر.. في هذا اليوم اجتمع السلطان بالناس وقال..

وكان هذا يعني أنه مفتوح لكل الناس من أول السلطان والأغنياء وحتى العبيد والفقراء، الذكور منهم والأناث.

كان البيمارستان جزءاً من مجموعة قلاوون التى تضم:

- مدرسة
- وقبة كبيرة حيث سيدفن فيها السلطان
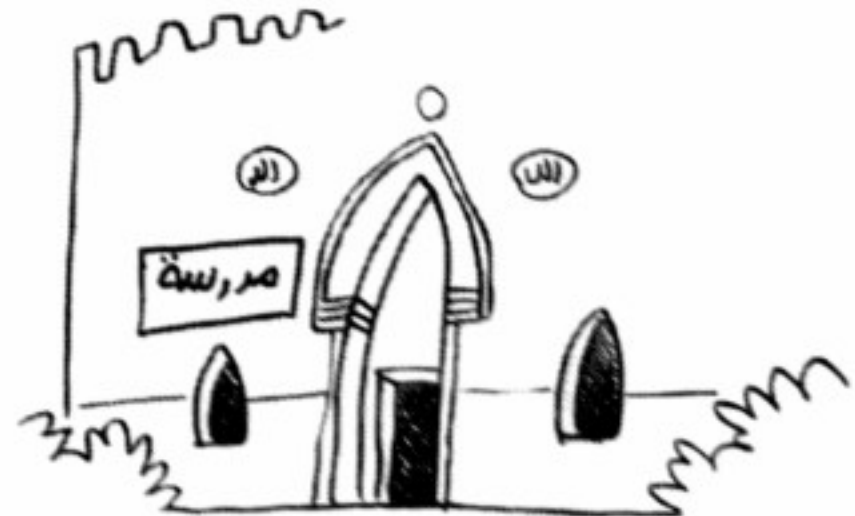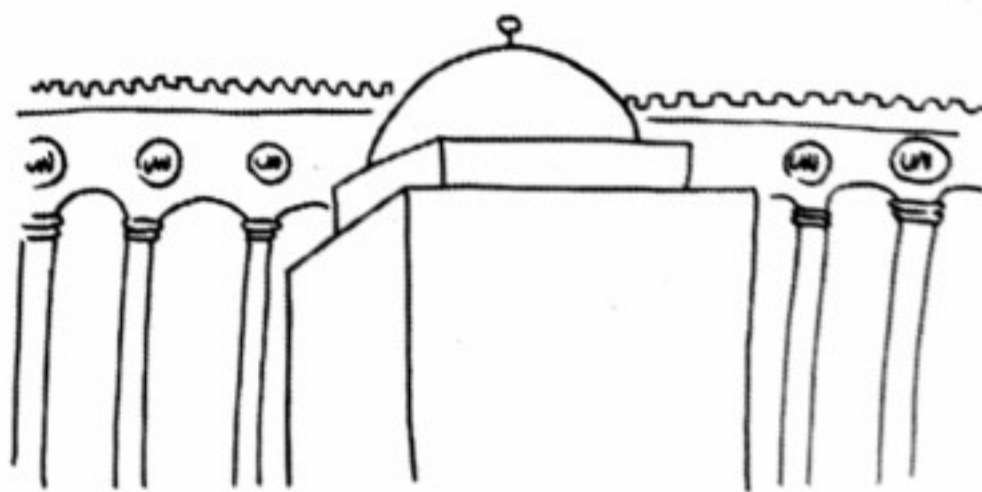
وكان البيمارستان من الفخامة لدرجة كبيرة جدا.. اسمعوا ماقاله ابن بطوطة في وصفه..

أما البيمارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لايحصر، ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم

وتعد وثيقة وقف البيمارستان المنصوري من أقدم وثائق الوقف المحفوظة إلى يومنا هذا، وتتصف بدقة التفاصيل التي تتضمنها. ولذا فهي مصدر هام للتاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للعصر المملوكي. فهناك معلومات كثيرة يمكن أن نستمدها عن هذا العصر من هذه الوثيقة والخدمات الطبية والترفيهية التى كانت تقدم للمرضى.

- ومعلومات عن الأمراض المنتشرة:

- والخدمات الترفيهية التي كانت تقدم للمرضى

إفتتاحية الحجة المؤرخة ٢١ صفر ٦٨٥ هـ
من الوثيقة ١٠١٠ أوقاف
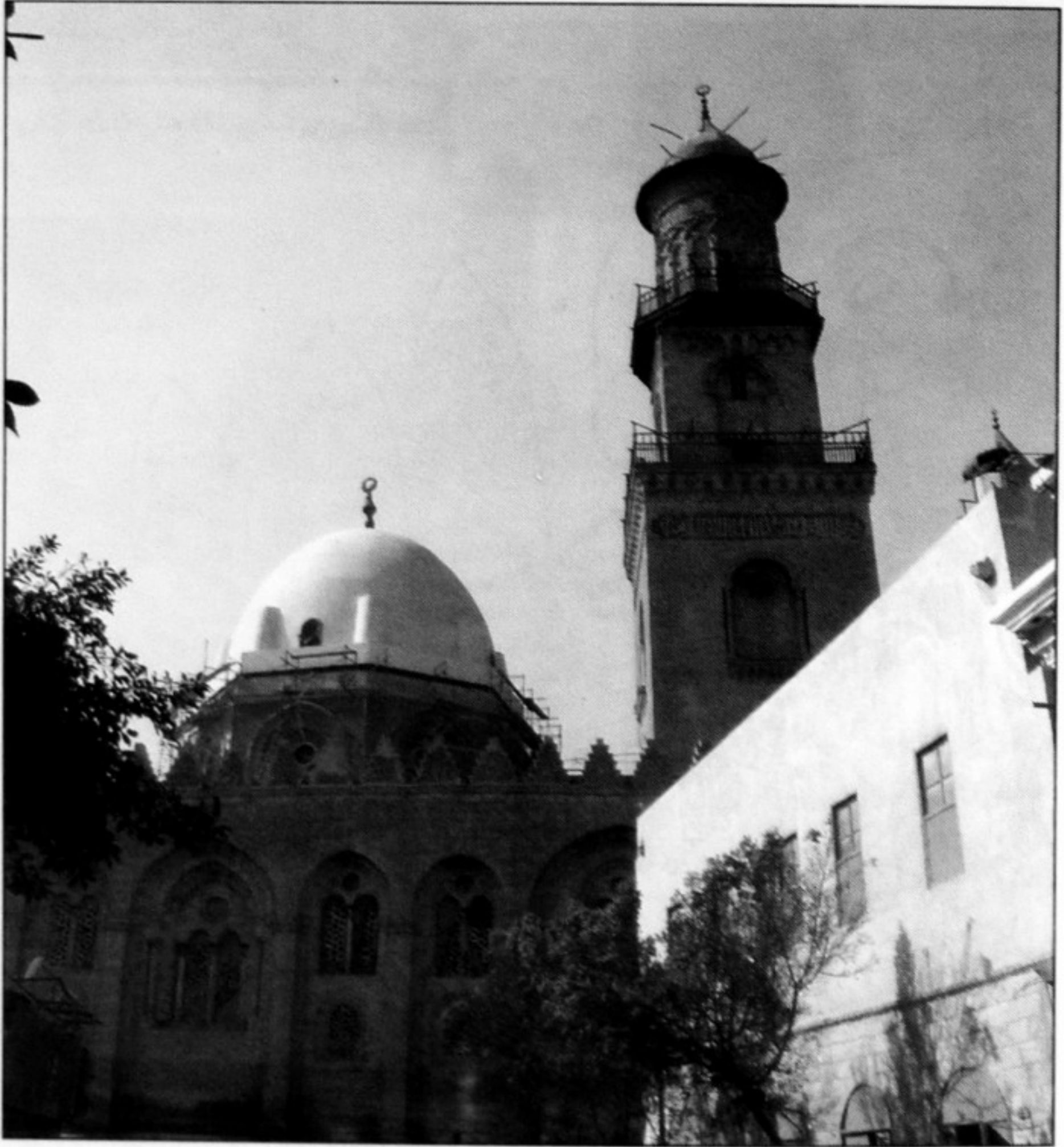
مجمع قلاوون

دور الأطباء وتخصصاتهم ..

كل طبيب يذهب إلى قسمه ليمارس تخصصه، ووروني بقى حاتطبقوا إزاي اللي اتعلمتوه.

رمـد

جراحة

جلدية

أمراض عقليـة

أظهر أطباء هذا العصر معرفة كبيرة بطرق التعامل مع المرضى المختلين عقلياً رجالاً ونساءً.

خذ هذا الدواء
وإن شاء الله هاترتاح جداً
وأعصابك هاتهدا عندنا
في المستشفى

الوقف كمصدر تاريخي

يعتبر الوقف كتاباً تاريخياً مجسماً يمكن إذا تصفحنا صفحاته بدقة أن يكشف لنا الكثير من المعلومات التاريخية الهامة جدا...

إذ يمكن أن ندرس التاريخ الاقتصادي للدول العربية والإسلامية المختلفة من خلال الإجابة على سؤال.. كيف حصل الواقف على الأملاك التي يوقفها؟! هل ذلك كان عن طريق...

- الميراث..

- الشراء..

- المهر بالنسبة للسيدات..

وكانت كثير من الوقفيات تنص وتحدد المرتبات المختلفة لموظفي الوقف مما يساعدنا على دراسة المرتبات والأوضاع الاجتماعية لفئات مختلفة من الأساتذة والعلماء وكذلك العاملين على صيانة وإدارة الوقف من بوابين وطباخين وبنائين ومهندسين...

- المرتبات ومستويات المعيشة
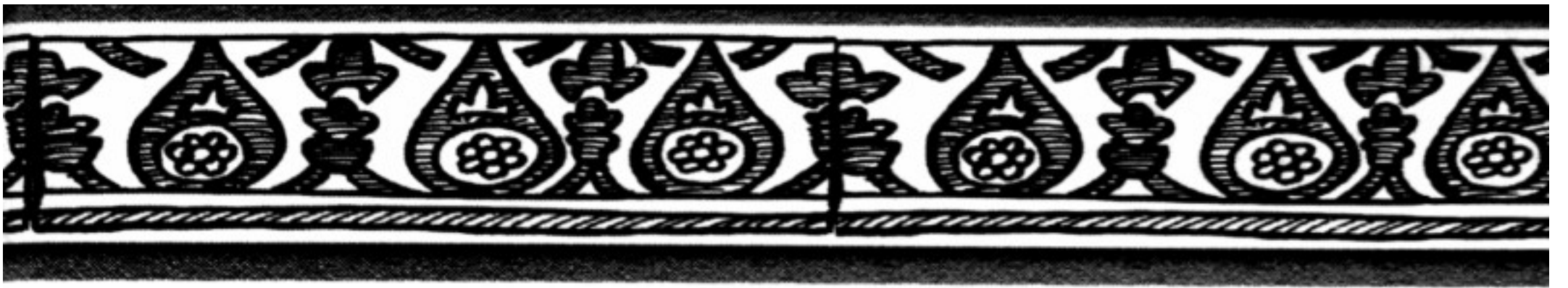
ومما يلفت النظر أن معظم الآثار الإسلامية التي ما زالت قائمة في القاهرة وكثير من المدن العربية والإسلامية كانت أوقافا، وهو ما يفسر استمرارها لمئات السنوات لأن الوقف ضمن لهذه المؤسسات ومبانيها نوعاً من الصيانة الدورية والاستمرارية.. وقد ساعد ذلك الأثريين في تخيلهم للتغييرات التي أدخلت على الآثار مع الزمن وتصور إمكانية إعادة تأهيل المبنى.
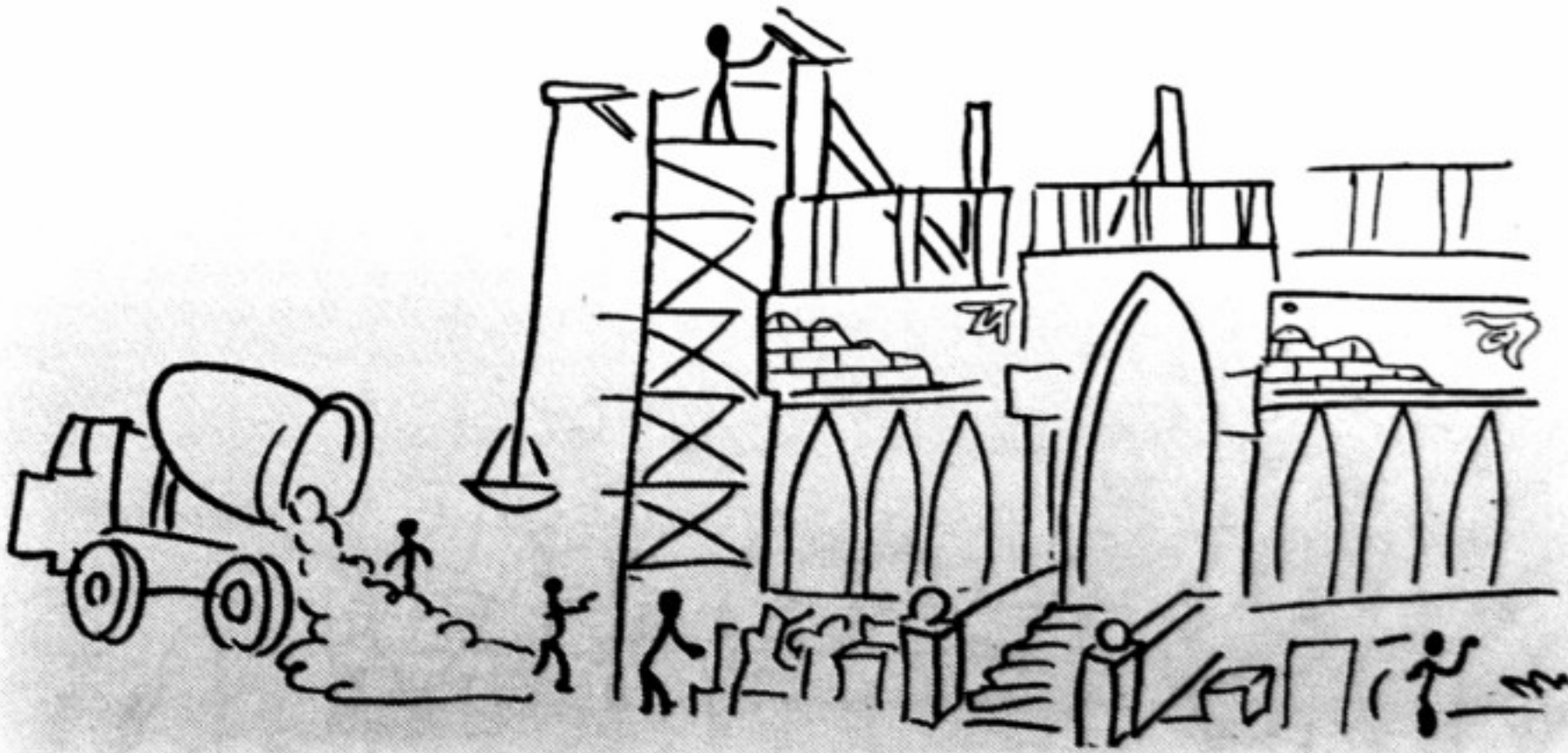
- تساعد الوقفيات على دراسة التاريخ الاجتماعي للطهي والغذاء ودراسة أسلوب وعادات الغذاء والطهي في هذه العصور خاصة بين الطبقات المتوسطة وما دون ذلك. والدليل وقفية خرم خاصكي.. التي كانت زوجة السلطان سليمان القانوني ونصت وقفيتها على إطعام ٤٠٠ من الفقراء كل يوم وكانت الوجبة تضم صنوفا كثيرة..

رز وزبد وبرغل
ولحم ضأن وبصل وحمص وعسل وزعفران
وفاكهة وزبادي وخل وليمون وفلفل.. كل ده.. ربنا
يخليك لنا ياست خرم خاصكي وينصرك على
مين يعاديكي!

- كما تساعد الوقفيات، خاصة الكبيرة منها، على دراسة أساليب تقسيم العمل في العصور الوسطى والإسلامية والتخصصات المختلفة.. والدليل وقفية خرم خاصكي طبعا.. إذ نصت الوقفية على تقسيم العمل بشكل دقيق جدا..
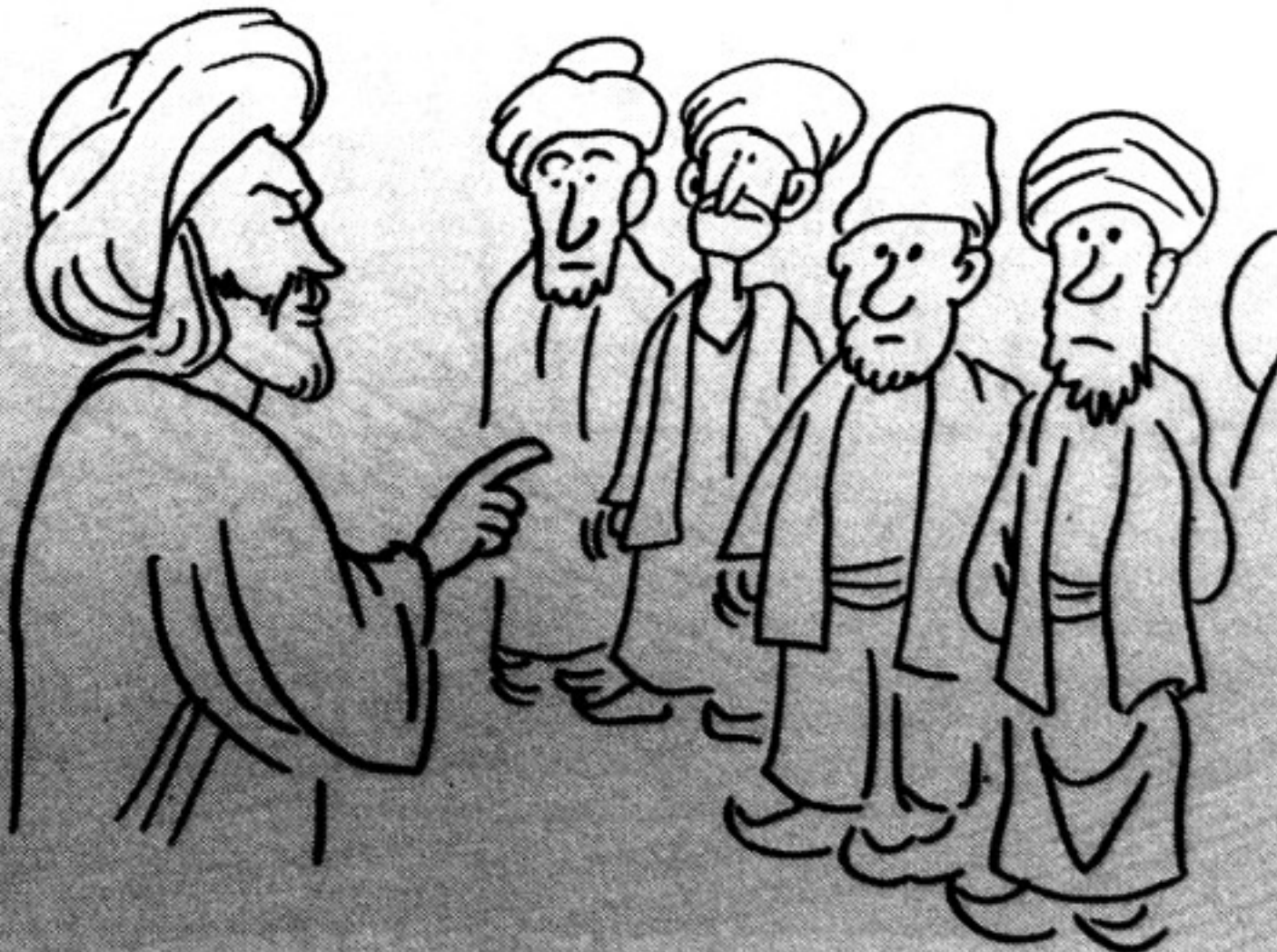
- كما تساعد الأوقاف على دراسة تاريخ العائلات المختلفة وتاريخ النسب خاصة عائلات الطبقات المتوسطة والتجار الذين لم تذكرهم التراجم التقليدية التي تركز عادة على النخبة الحاكمة ورجال الدولة والعلماء.

ده إحنا مش حانكتب بحث عن الوقف، دي الوقفيات طلعت كنز كبير، ممكن نعمل منها أبحاث عن الهيكل الاجتماعي، ونتعرف على فئات المجتمع المختلفة. يعني بصي في الوقفية بتاعت حفيظة خانوم الموراهلي، عام ١٨٨٠م، واضح من وقفيتها إن أبوها كان أفندي يعني موظف في الدولة ينتمي للبيروقراطية العثمانية، وجدها كان أغا يعني ينتمي للنخبة العسكرية

كذلك فإن الألقاب التي ترفق بأسماء الناس في الوقفيات تحدد موقعهم الاجتماعي وتساعد على رسم خريطة اجتماعية وتبرز أحيانا مدى الحراك الاجتماعي الذي حدث من جيل إلى آخر.

الوقف ودعم الحركة الوطنية

في العصور الوسطى خاصة في فترات الحروب المختلفة التي تعرضت لها الأمة العربية والإسلامية سواء غزو التتار أو الحروب الصليبية، ظهرت أوقاف تدعم حركة الكفاح والجهاد ضد الغازين..

إذ أوقف بعض الناس أموالهم من أجل الجهاد

وكذلك أوقفوا جياد..

بأقولك عاوزهم عشان الناس
تحارب بيهم التتااااار، ودول
أساسا مش هيطلع عليهم نهار!

ووقفوا أيضاً أسلحة..

أما في العصر الحديث، فقد لجأ أهل مصر إلى نظام الوقف، وقاموا بتوظيفه في دعم حركة التحرر الوطني منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى مطلع الأربعينيات من القرن العشرين. وبسبب سيطرة الأجانب على الاقتصاد المصري، أو ربما كرد فعل لهذه السيطرة، لجأ كثير من المصريين إلى الوقف لتجنيب أراضيهم وممتلكاتهم من موارد وميزانية الدولة التي كانت تحت سيطرة قوى الاحتلال.

كذلك وضع الكثيرون منهم شروطا تمنع الأجانب من التعامل في أراضي الأوقاف وممتلكاتها، وتمنع تسرب مصادر الثروة المصرية الى أيدي الأجانب وتُقصر الانتفاع على أبناء البلد فقط.

فاشترطوا على ناظر الوقف ألا يؤجر الأرض الموقوفة لأحد من الأجانب.

وألا تؤجر أيضا إلى شخص ظالم..

أو لشخص تحت الحماية أو يخضع للمحاكم المختلطة..

المحاكم المختلطة

هي المحاكم التي أنشئت عام ١٨٧٥ بناء على اتفاق بين مصر والدول التي كانت لرعاياها امتيازات تفوق امتيازات المواطن المصري. وذلك للفصل في المنازعات التي تنشأ بين المصريين والأجانب. أو بين الأجانب مختلفي الجنسية.

بيت الأمـــة

من أهم رموز الكفاح الوطني المصري ضد الاحتلال الإنجليزى بيت الزعيم سعد زغلول المعروف ببيت الأمة. وقد حافظ الوقف على هذا البيت المهم من الهدم والانقراض لأن سعد زغلول قام فى عام ١٩٢٦ بوقفه على زوجته السيدة صفية زغلول، وقد تحول البيت مؤخراً إلى متحف قومى.

الوقف يحمي فلسطين
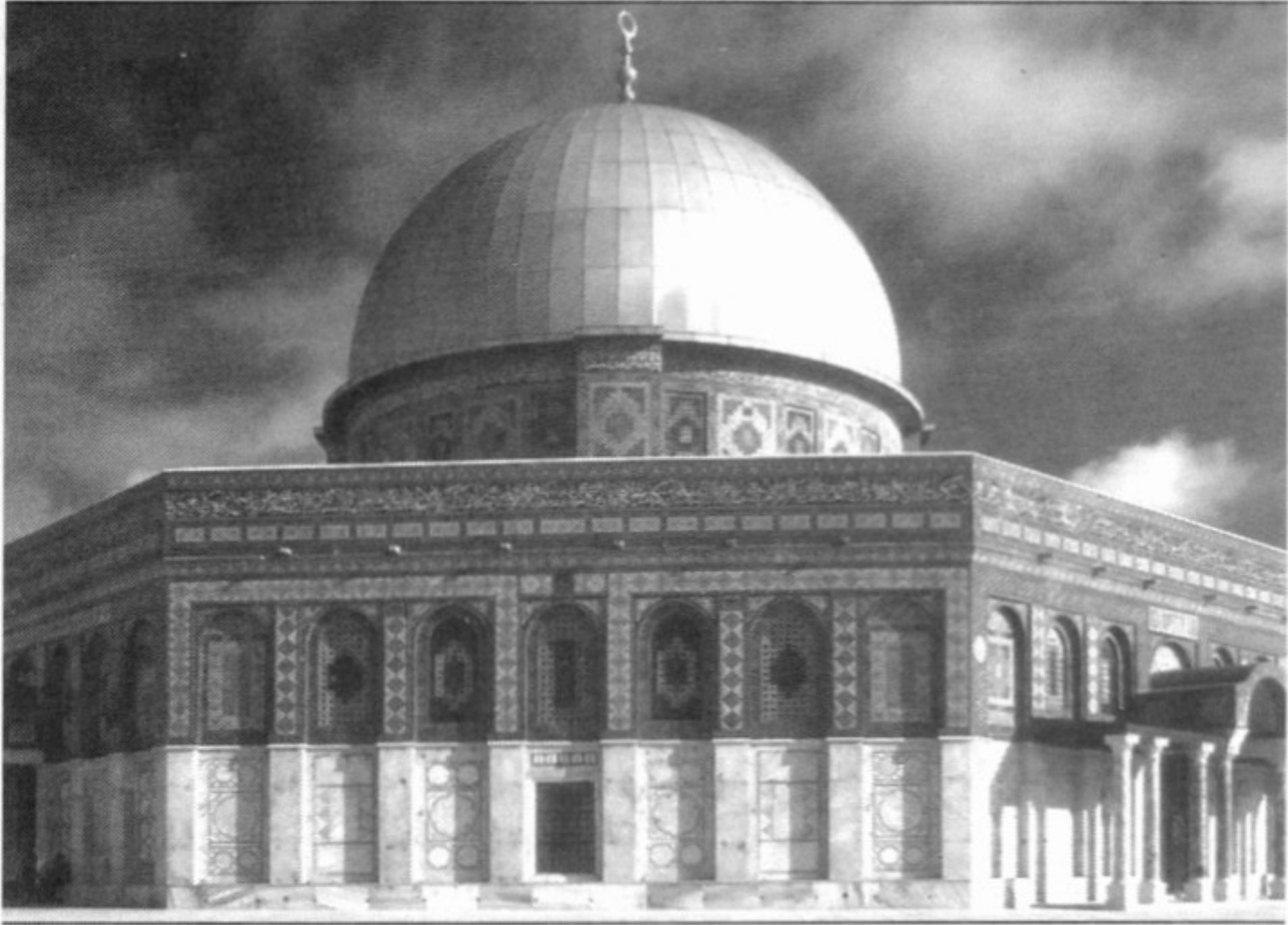
تتحكم أوقاف الكنائس و الهيئات الإسلامية في نسبة كبيرة من عقارات مدينة القدس وقفت منذ العصور الوسطى على الكنائس و الأديرة بالمدينة والمساجد مثل المسجد الأقصى وهذه الأوقاف حمت الكثير من تلك العقارات والمباني والمنازل و المؤسسات من الوقوع تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي وسيطرة المستوطنين الإسرائيليين الذين يريدون تهويد كل شيء فى المدينة.. حتى الهواء يا جدع!

وقف حال الوقف في العصر الحديث

كانت السيطرة على الأوقاف من المعارك المتكررة في التاريخ الإسلامي، فطالما تنازع الحكام والعلماء على حق السيطرة على الأوقاف. وقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً جديدة في العصر الحديث مع نشأة الدولة القومية وبسط سيطرتها على مختلف نواحي الحياة. فالدولة الحديثة تعمل على إلغاء منافسيها وتعمل على وضع مختلف الموارد المالية والاقتصادية تحت سيطرة الحكومة.

بالنسبة لمصر بدأت المرحلة الجديدة من تاريخ الأوقاف مع عصر محمد علي باشا الذي يراه الكثيرون مؤسس الدولة الحديثة، على الرغم من أنه وصل إلى الحكم على أكتاف العلماء..

إلا أن محمد علي تعامل مع قوة العلماء التي جلبته، كتهديد ومنافسة لحكمه فبحث عن طريقة ليسيطر بها على العلماء. والحل كان في الأوقاف التي كانت تمثل مع الالتزام (وهو نظام تحصيل ضرائب شبيه بالاقطاع) مصدر الدخل الرئيسي للعلماء..

وفي عام ١٨٤٦ صدر مرسوم بمنع تأسيس أوقاف جديدة..

وبالرغم من أن المرسوم لم يتم تطبيقه إلا أنه أعطى مؤشرا للتضييق على الأوقاف.. التي تأثرت بالتعديلات التي أدخلها على نظام ملكية الأراضي الزراعية فبلغت أراضي الوقف أدنى نسبة لها في عهده.

بعد ذلك ظهرت قوانين شجعت على تأسيس الأوقاف مرة أخرى، مثل قانون ملكية الأراضي عام ١٨٥٨ ولائحة المقابلة سنة ١٨٧١م، والتي أعطت حق الملكية الخاصة مقابل دفع ضرائب ست سنوات مقدمة. واللافت أن حركة الأوقاف نشطت مع بداية الاحتلال البريطاني لمصر لأن الاحتلال أقر القوانين التي تشجع الملكية الفردية، وهو ما أوجد طبقة من كبار ملاك الأراضي الزراعية الذين أوقفوا بعض أو كل أملاكهم، إلا أنه مع طول فترة الاحتلال ومع ارتفاع الديون المصرية زاد التدخل البريطاني والفرنسي في الشؤون المالية للدولة بما في ذلك الأوقاف.. وهنا وقف الخديو توفيق وقفة تحسب له أراد بها أن يحمي الأوقاف من التدخل الأجنبي..

إلا أن الخديو عباس حلمي الثاني لم يصمد مثل توفيق..
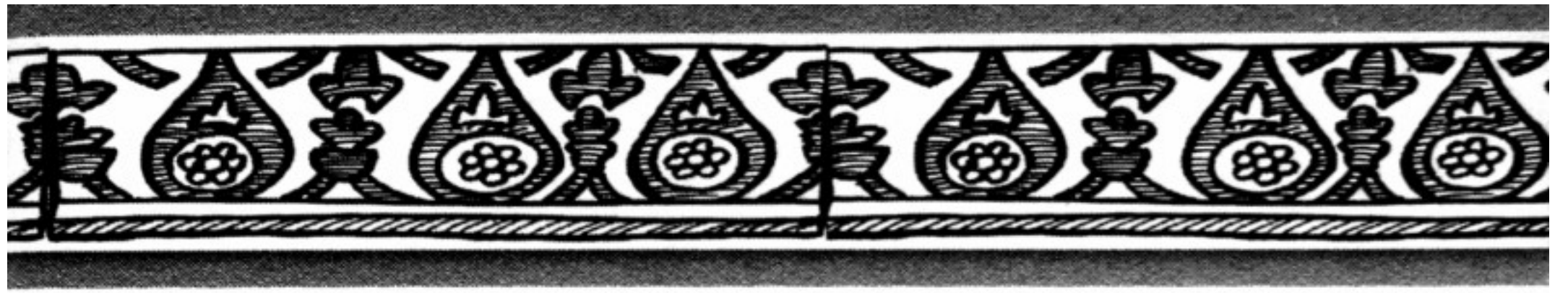
وقد ظل حكام مصر يدافعون عن حقهم في السيطرة على الأوقاف مباشرة بعيدا عن الميزانية العامة للدولة التي سيطر عليها الأجانب. وشهدت هذه الفترة ازدياداً في إنشاء الأوقاف الأهلية. الغريب أن ذلك صاحبه فساد كبير في إدارة الأوقاف مما جعل البرلمان يشهد مناقشات حادة بهذا الشأن وفى عام ١٩٤٦ ظهر قانون لإصلاح الأوقاف..

وبعد قيام ثورة يوليو..

تأثرت الأوقاف كثيرا بقوانين الإصلاح الزراعي بعد أن تمت إعادة توزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين الذين كان من الصعب أن يقوموا بوقف أراضيهم مثلما كان يفعل الملاك الأغنياء.

الجولة الطويلة في أوراق التاريخ أوضحت لنا تماما كيف أن الوقف كان عاملا أساسيا فى توفير الكثير من حاجات المجتمعات العربية والإسلامية من تعليم ورعاية صحية وحياة دينية بحيث تم تمويل معظم الخدمات الحضرية عن طريق الأوقاف. والوقف على عكس اسمه الذى يوحى بالجمود، مؤسسة تتسم بدرجة عالية من المرونة، سمحت بهذا التغاير والتنوع، وسمحت باستخدامات مختلفة، مما جعلها مؤسسة غاية الأهمية فى المجتمعات العربية والإسلامية في العصور السابقة.

تقدم بلادنا يكمن في تطور هذه المؤسسات.. لقد قررت أن أوقف ريع شركتي على دعم التعليم وأدواته في الجامعتين

هل يمكن أن نستفيد منه حاليا؟

- يمكن طبعا والتعليم واحد من أهم المجالات التي قد يضيف إليها الوقف كثير.

- لكن بشرط أن نطور فى إدارة الوقف للحد من الفساد والإهمال.. فتصبح جماعية مثلا، فبدل من وجود ناظر واحد يكون هناك مجلس نظار من تخصصات مختلفة..

نقابة الصحفيين

كأن محمد حسنين هيكل سمع الذي كنا نقوله منذ قليل

إزاي؟

مسمعتوش عن "مؤسسة محمد حسنين هيكل للصحافة العربية"؟ دي أسسها الصحفي المصري محمد حسنين هيكل سنة ٢٠٠٥

مؤسسة محمد حسنين هيكل للصحافة العربية

من بين أهداف المؤسسة إنشاء مكتبة عامة تضم الكتب التي إقتناها هيكل في مختلف المجالات بالإضافة إلى وثائقه والوثائق الأخرى التي تجمعت لديه على مر السنين. وكذلك إقامة ندوات وحلقات نقاشية لأهم قضايا مهنة الصحافة واستضافة صحفيين من العالم الخارجي لتنظيم ورش عمل مكثفة وإيفاد بعثات للتدريب في صحف عالمية كبرى وإصدار نشرة دورية بأهم المستجدات التكنولوجية في مجال الصحافة وكذلك منح جوائز سنوية للأعمال الصحفية المتميزة.

ويقوم نشاط المؤسسة على وقفية محددة ومتجددة وفرها محمد حسنين هيكل وأسرته دون اعتماد أو مشاركة على أي جهة أو طرف خارجي. وللمؤسسة أن تقبل إسهامات فقط بعد مرور فترة التأسيس والانشاء. الوقف جاء على صورة وديعة بنكية مخصصة لهذه المؤسسة يتولى الحفاظ والإشراف عليها وعلى أهدافها مجلس أمناء يشارك فيه ممثلو الوقفية إلى جانب عدد من الشخصيات المهتمة بمهنة الصحافة وبالعمل العام. وتشترط الوقفية ألا يزيد عددهم على سبعة أشخاص يكون بينهم نقيب الصحفيين المصريين وكذلك شخصية عربية غير مصرية معنية بصحافة العالم العربي.

بينما يختص برسم سياسة المؤسسة وادارة أعمالها مجلس تنفيذي يتكون وفق لائحة يصدرها مجلس الأمناء.

يعني فعلاً المؤسسة دي طورت الوقف ووضعت مكان الناظر والمتولي مجالس مكونة من عدة أشخاص، ولكن الفكرة الأساسية مستمرة.

مراجع ومصادر

١- مراجع عربية

• ابن حبيب الحلبي، بدر الدين الحسن بن عمر، "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه". الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب؛ حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين ؛ راجعه سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦-١٩٨٦).

• أمين، محمد محمد. "الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م: دراسة تاريخية وثائقية". (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠).

• البهي، محمد. "الأزهر تاريخه و تطوره". (القاهرة: وزارة الاوقاف و شئون الازهر، ١٩٦٤).

• جرجس، مجدي، "أثر الأراخنة على أوضاع القبط في القرن الثامن عشر"، حوليات إسلامية ٣٤ (٢٠٠٠):٢٣-٤٤.

• حنا، نللي. "بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر: دراسة اجتماعية معمارية". ترجمة حليم طوسون. (القاهرة: العربي، ١٩٩٣).

• السعدي، هدى و أميمة أبو بكر، "المرأة والحياة الدينية في العصور الوسطى بين الاسلام و الغرب"، أوراق الذاكرة، ٢، سبتمبر ٢٠٠١، (القاهرة: ملتقى المرأة والذاكرة، ٢٠٠١).

• عفيفي، محمد. "الأقباط في مصر في العصر العثماني". (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢).

• ــــــــ "الاوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني". (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١).

• المقريزي، تقي الدين أحمد. "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار".

٢- مراجع أجنبية

- Deguilhem, Randi, "Gender Blindness and Societal Influence in Late Ottoman Damascus: Women as the Creators and Managers of Endowments," Hawwa: Journal of Women of the Middle East and the Islamic World, vol.1, no.3(2003), pp.329-350.
- Fay, Mary Ann, "Women and Waqf: Toward a Reconsideration of Women's Place in the Household," International Journal of Middle East Studies, Vol. 29, No. 1. (Feb., Mamluk 1997), pp. 33-51.
- Ghazaleh, Pascale, "Heirs and Debtors:Blood Relatives, Qur'anic Heirs, and Business Associates in Cairo, 1800-1850," in Society and Economy in Egypt in the Eastern Mediterranean 1600-1900. Essays in Honor of André Raymond, Nelly Hanna and Raouf Abbas eds (Cairo and New York: American University in Cairo Press, 2005), pp.143-158.
- Hanna, Nelly. Making Big Money in 1600 : the Life and Times of Isma'il Abu Taqiyya, Merchant (Syracuse, N.Y. : Syracuse University Press, 1998).Egyptian
- Petry, Carl F."Class Solidarity versus Gender Gain: Women as Custodians of Property in Later Medieval Egypt", in Women and Middle Eastern History: Shifting Boundaries in Sex and Gender, Eds. Nikki R. Keddie and Beth Baron (New Haven and London: Yale UP, 1991), pp.122-142.

Sabra, Adam. Poverty and Charity in Medieval Islam: Mamluk Egypt, 1250-1517 (Cambridge: Cambridge University Press, 2000).

"Wakf," Encyclopedia of Islam, 2nd Edition.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الأوقاف في سطور ... وصور

هل تعلم

ما معنى الأوقاف؟
أن الأوقاف ليست "موقوفة الحال"؟
أن الأوقاف ساهمت في تكوين مؤسسات المجتمع المدني في الماضي؟
أن الكثير من الآثار التاريخية المتبقية في مدننا الحديثة استمرت بسبب الوقف؟
أن الأوقاف شهدت نشاطاً ملحوظاً للنساء في مختلف عصور التاريخ العربي؟

هذا الكتاب يجيب عن بعض الأسئلة المتعلقة بالوقف ويقدم تعريفاً له ولمكوناته واستخداماته، كما يلقي الضوء على تاريخ الوقف باعتباره قد لعب دوراً في توفير الكثير من حاجات المجتمعات العربية والاسلامية من تأمين اقتصادي وتعليم ورعاية صحية وحياة دينية.

وإذ يقدم الكتاب هذه المعلومات القيمة للقارئ غير المتخصص بصورة مبسطة وممتعة من خلال أسلوب السطور والصور، فإنه يطرح تساءلاً غاية في الأهمية عن مدى إمكانية الاستفادة من مؤسسة الوقف في الوقت الحاضر وبعض التصورات عن تكييف هذه المؤسسة التقليدية لمتطلبات وتحديات العصر الحديث.